وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة قاصدي مرباح – ورقلة

كلية الآداب واللغات

قسم: اللغة و الأدب العربي

عنوان المذكرة

الرسائل السلطانية في كتاب النبوغ المغربي عبد الله كنون

دراسة في المضامين

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في الأدب و اللغة العربية

تخصص : أدب عربي قديم

إعداد الطالبة :

- بشي عشيرة

اشراف الاستاذ

د. حلاسة عمار

السنة الجامعية : 2018/2017

إهداء وشكر:

أهدي هذا العمل إلى من علمني معنى النجاح والصبر إلى من افتقده في كل لحظة تمر عليا في مواجهة الصعاب أبي العزيز، لم تمهله الدنيا لأرتوي من حنانه، تمنيت وجوده معي ليفتخر بنجاحي الذي كان هو سبب فيه.

وإلى من علمتني وكانت سندا لي أمي الحبيبة أطال الله في عمركِ ، وإلى إخوتي الأعزاء وصديقاتي العزيزات حفظكم الله .

وإلى أستاذي العزيز أشكره على وقفته وصبره معي رغم مرضه فلم يبخل عليا بالنصيحة ، أتمنى له دوام الصحة والعافية إن شاء الله .

المقدمة

المقدمة:

الحمد لله حمد الشاكرين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه الطاهرين

أما بعد: لقد عرفت الرسائل الفنية بأنواعها قفزة جلية ، حتى صار هذا الفن النثري باتجاه التطور والازدهار في مختلف مجالاته سواء من ناحية الشكل أو المضمون ، منذ العصر الجاهلي امتدادا إلى العصر الحديث ، حيث شهد هذا الفن النثري بروزا ساطعا في العصر العباسي ، وذلك لظهور نخبة من الكُتَّاب الذين شاركوا في رقيه وتطوره ، في عدة موضوعات أدبية وسياسية واجتماعية حتى وصل النثر إلى ذروته وعلى رأسهم عبد الحميد الكاتب ، و ابن المقفع ، والجاحظ ، وابن العميد وغيرهم ، ومن أكثر الفنون النثرية التي انتشرت وشاعت في العصر العباسي هي الرسائل الديوانية والرسائل الإخوانية ، حيث شهدت رواجا كبيرا بين الأدباء والكتاب ؛ الرسائل الديوانية التي كانت تصدر من الملوك والسلاطين والأمراء والوزراء فيما بينهم ، مما جعل هذا الفن يأخذ مكانة في أوساط هذا العصر ، حيث أصبحت الرسائلُ وسيلةَ تواصلٍ تنقل أخبارهم وتعالج قضاياهم ، وهذا ما دفع إلى ظهور لون جديد وهو الآداب السلطانية ، أو الكتابات السياسية ، والرسائل السلطانية في كتاب النبوغ المغربي تعد بمثابة وثيقة رسمية من التراث المغربي تعبر عن ثقافتهم ؛ وتُعَد فَنًّا من الفنون الأدبية المغربية كغيرها من فنون النثر في الأدب العربي ، لهذا كان اهتمامنا بهذه الرسائل دون غيرها اعتقادا منا أنه موضوع خصب يحتاج إلى دراسة تبرز خصوصيته وجماليته ، وذلك من خلال تحليل مضامين هذه الرسائل ليستقر البحث تحت عنوان:[الرسائل السلطانية في كتاب النبوغ المغربي (دراسة في المضامين)] .

ومنه جاء طرح الإشكال كالتالي : ما هي سمات الرسائل السلطانية وتجليات السلطة في مضامين النصوص ؟ وفيما تكمل خصوصيتها عن غيرها من الرسائل ؟

فهذه الرسائل السلطانية في كتاب النبوغ المغربي لم تحظ بدراسة من هذا الجانب ؛ واستنادا إلى عنوان البحث رأينا أن نركز في دراستنا على العناصر التالية : الرسالة ، والتوقيعات ، لتكون هيكلةَ وبناءَ هذا البحث على الشكل التالي : مقدمة ، ومدخل ، وفصلين وخاتمة ، ثم قائمة المصادر والمراجع .

تناولت في مدخل البحث الحديث عن فن كتابة الرسائل وتوضيح كيف كان الكتاب يتراسلون فيما بينهم ، ثم وقفت على تعريف بعض المصطلحات التي تخدم موضوعي وهي كالتالي : الرسالة ، أقسام الرسالة حيث شملت نوعين رئيسيين هما الرسائل الديوانية والرسائل الإخوانية ، إضافة إلى التعريف برسائل التوقيعات لكون الرسائل السلطانية في كتاب النبوغ المغربي احتوت على هذا النوع من الرسائل .

ثم خصصنا الفصل الأول لدراسة مضامين الرسائل السلطانية في كتاب النبوغ المغربي ؛ حيث احتوى على ثلاثة مباحث ؛ المبحث الأول: تناولت فيه الرسائل السلطانية كنماذج أو عينة لدراسة ، والمبحث الثاني : أنواع الرسائل السلطانية وذالك تصنيفها حسب نوعها وموضوعها ، المبحث الثالث : مضامين الرسائل السلطانية .

أما الفصل الثاني فقد خصصناه لدراسة الخصائص الفنية للرسائل السلطانية دراسة تطبيقية (رسالة أبى حفص الهنتاتي إلى عبد المؤمن بالفتح)عينة ؛ حيث احتوى على ثلاثة مباحث ؛ المبحث الأول : الأسلوب والبناء في رسالة أبى حفص الهنتاتي ، المبحث الثاني : الصور البيانية في رسالة أبى حفص الهنتاتي، المبحث الثالث : المحسنات البديعية في رسالة .

أما الخاتمة فكانت حصيلة لأهم النتائج والاستنتاجات التي توصل إليها البحث استنادا لما احتوته فصوله السابقة الذكر.

وقد حاولنا في هذه الدراسة أن نتبع آلية التحليل في معرفة المضامين التي كانت تحملها هذه الرسائل السلطانية، مع الاستعانة أيضا بالمنهج الفني لإبراز الجماليات الفنية لهذه الرسائل.

وقد دفعني لإختيار هذا الموضوع عدة أسباب منها :

- خلو المكتبة الأدبية من مثل هذه الدراسة المتخصصة .
- حاجتنا إلى معرفة الموضوعات التي تحملها هذه الرسائل وخاصة أنها كانت تعنى بالملوك والسلاطين والوزراء تعالج شؤون الدولة ، استطاعوا بهذه الرسائل تغيير مصير أمم ووضع ضوابط تخدم مجتمعاتهم .
- معايشة هذه النصوص التراثية التي تتطلب منا بذل جهد لإبراز جوهرها وقضاياها .
- والعامل الأهم هو تأثر هذه الرسائل بالتراث الإسلامي الذي أعطاها طابع ديني او مسحة دينية .

ومن أهم الصعوبات التي واجهتنا في هذا البحث هي قلة الدراسات السابقة في الموضوع، إضافة إلى قلة المراجع.

وفي شروعنا بالعمل اعتمدنا على كم من المراجع ؛ ككتاب فن كتابة الرسائل لإبراهيم خليل ، وكتاب إنتصارات يوسف بن تاشفين لحامد محمد الخليفة ، وكتابه أيضا يوسف بن تاشفين موحد المغرب وقائد المرابطين ومنقذ الأندلس من الصليبيين، وكتاب أدب الرسائل في الأندلس في القرن الخامس الهجري لفايز عبد النبي فلاح الفيسي .

ولا يسعني في ختام هذه المقدمة إلا أن أشكر كل من ساعدني من قريب أو بعيد ، وأتقدم بالشكر الكبير للأستاذ الدكتور حلاسة عمار ، الذي قبل الإشراف على البحث ، إضافة إلى توجيهاته السديدة وإرشاداته القيمة التي انتفعت بها في هذا البحث .

ومسك الختام أن نعطر أفواهنا بهذه الآية الكريمة { فَتَعَالَى اللهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا } [طه :111] .

المدخل

مدخل:

إن عملية الكتابة عرفها الإنسان منذ القديم ، حيث أنه حاول إيجاد طريقة أو وسيلة لتسجيل أفكاره ولغته ، فكانت الكتابة هي السبيل لحفظها من الشتات والضياع ، إلى أن تطورت أساليبها وطرقها حتى أصبحت الكتابة آلية توثق أقوال وأراء أصحابها أو كتابها ، أو هي تعبير أو أثر يخلفه صاحبه ، فالنقوش والآثار التي تركها أصحَابُهَا منذ العصور السابقة مثل العصر الحجري النقش على الحجر فهذا دليل على التوثيق وحفظ تراثهم ، فهي الوسيلة الوحيدة التي كانت متوفرة آنذاك ، أو الكتابة على الجلود مثلا ، إلى أن تطورت طرق ووسائل الكتابة وبالأخص في العصر العباسي والعصر الحديث ، ودخل تحت فن الكتابة ما يعرف بالمراسلات فهي تعد وسيلة من وسائل التواصل بين الناس ، تعبر عن حوائجهم و أفكارهم ومناسباتهم وافتخارتهم وما شابه ذلك ؛« وقد إزدهر فن الرسائل وتحددت ملامحه وثبتت خصائصه باستمرار دعائم الدولة الإسلامية في العصر العباسي ، فمنذ القرن الثاني الهجري كثرت المراسلات »[1]، ومن ذلك الوقت وفن الرسائل في سير الازدهار يأخذ مكانته بين الملوك والوزراء والسلاطين وعامة الناس ، وكثرت المراسلات لكثرة التعامل بها في ما بينهم .

وقد جاء في لسان العرب « أن الترسل كالرسالة والترسل في القراء والترسيل واحد، وهو التحقيق بلا عجلة ، وقيل بعضه على أثر بعض ، يقال ترسل الرجل في كلامه ومشيه إذا لم يعجل ، وهو والترسل سواء » [2] ، ونستخلص من المعاني في اللسان أنها تصب في معنى واحد أن الترسل في أصله مشتق من الرسالة ويحقق شيئاً من خصائصها .

وللتعميقٍ أكثر والتدقيق في ما يخص المراسلات أو فن كتابة الرسائل، نتطرق إلى التعريف بالرسالة بشكلها المنفرد والمستقل:

[1]- إبراهيم خليل ،وأمتنان الصمادي ،فن الكتابة والتعبير ، دار المسير للنشر والتوزيع والطباعة ، عمان ، الأردن ، ط2 ، 2009م- 1430ه ، ص183 .

[2]- إبن منظور الأنصاري ، لسان العرب مج11 ، منشورات محمد على بيصون دار الكتاب العلمية ،بيروت ، عمان ،ص 335- 336 .

1- الرسالة :

المراد بالرسالة كما هو معروف ومتداول ما يكتبه شخص لأخر بخط يده ، يكون محبر على الورق ، يتراسلون بها عن طريق البرقيات ، أو هي « الخطاب المكتوب في غرض جزئي ، يبعث به صاحبه إلى أخر »[1]، إذاً الرسالة تحمل في مضمونها خطاباً في غرض من الأغراض التي من أجلها كتبت الرسالة ، هذا النوع أو اللون من النثر عرف منذ الجاهلية ، مع ظهور الكتابة آنذاك مثل رسالة النعمان بن المنذر إلى كسرى ؛ حين جهزإليه وفدا ضم جمهور العرب من مختلف القبائل لتكلم عن مأثر ومفاخر العرب ، وفي عصر صدر الإسلام ،حيث كتب الرسول صلى الله عليه وسلم إلى ملوك العرب والعجم يدعوهم إلى الدين، إلى أن صار هذا الفن نحو الرقي والازدهار حيث أصبح أكثر فنون الأدب شهرة .

ونجد أن أبى هلال العسكري وفي تعريفه للرسالة قد ربط بين الرسالة والخطبة فهو يرى « أن الرسالة تقابل الخطبة إذ لا فرق بينهما إلا بالتسمية فقط ، وذلك على أساس تشكل الألفاظ والفواصل ، وما إلى ذلك من سهولة وعذوبة وتحرر من الوزن والقوافي إلا أن الخطبة تلقى مشافهة على الجميع من الناس والرسالة تحبر ثم تبعث بها ومن السهل أن تجعل الرسالة خطبة والخطبة رسالة » [2]، ومما سبق ذكره نستنتج أن مضمون الرسالة في حد ذاته خطبة تحولت من المشافهة إلى التوثيق والتحبير بفعل صاحبها ، قد تكون الرسالة خطبة إذا ألقيت مباشرة على المعني بالأمر ، أو خلال بدء صاحبها بكتابتها يحدث هناك نوع من المشافهة بينه وبين نفسه ، وبتقييدها وكتابتها على الورق تصبح رسالة موثقة فالرسالة تقابل الخطبة إذا ، وتعد فن من الفنون النثرية متحررة من قيود الوزن والقافية .

فالرسالة هي لون من ألون النثر الفني الجميل ، وضرب من ضروبه التي تنهال على القريحة انهيالاً .

[1]- أحمد السايب ، الأسلوب دراسة بلاغية تحلبلية للأصول الأساليب الأدبية ،مكتبة النهضة المصرية ،القاهرة ،ط2، 1411ه- 1991م ،ص 113

[2]- فايز عبد النبي فلاح الفيسي ،أدب الرسائل في الأندلس في القرن الخامس الهجري ، دار البشير لنشر والطباعة ،ط1 ، 1409ه- 1989م ، ص84 .

2. أقسام الرسالة :

عرفت الرسائل قديما بالمكاتبات أو المراسلات كما أشرنا سابقا ، فكانت تقسم إلى قسمين رئيسيين ، هما الكتابة الديوانية والكتابة الإخوانية .

أ-الكتابة الديوانية (الرسائل الديوانية) :

وهي لون من ألوان النثر الفني الجميل التي تعددت تسمياتها فهناك من يطلق عليها بالرسائل السياسية أو السلطانية أو الرسمية ، مختصة بمعالجة شؤون الإدارة ، وتحقيقها لذلك نشير إلى أن « الكتابة الديوانية هي تلك الرسائل التي تعالج شؤون الإدارة والتنظيم الداخلي الذي يتعلق بالحياة العامة ، وشؤون الرعية ، ولاسيما أن الرعية من السلطان ،.....، والرسائل الديوانية متعددة كثيرة الأغراض ، ومن أهم ألونها رسائل التولية والتعيين ، ورسائل التوجيهات والوصايا والأوامر الإدارية المختلفة إلى جانب التبصير بشؤون التنظيم » [1] ، نستنتج مما سبق أن الرسائل الديوانية لما لها من أهمية كبرى ودورا عظيما ، يتجلى في خدمة المصالح الخاصة والعامة للأمة ، متعلقة بمعالجة شؤون الإدارة وشؤون الرعية .

فقد اختلفت ألوانُ وأشكالُ الكتابة الديوانية ويرجع كل هذا إلى الاهتمام الكبير من طرف أصحَابِها وكتابها ، وذلك من خلال حسن انتقائهم للألفاظ وسعيهم لتناسق وانسجام العبارات داخل رسائلهم ، فكان اهتمامهم كبير بأسلوب ولغة رسائلهم التي كانوا يتبادلونها في ما بينهم من توقيعات وعهود.....إلخ.

بالإضافة إلى هذا نجد نوع ثاني يعد من أشهر أنواع الرسائل وهي الكتابة الإخوانية أو الرسائل الإخوانية .

ب ـ الكتابة الإخوانية (الرسائل الإخوانية) :

[1]- المرجع السابق ،ص111.

الرسائل الإخوانية أو ما يطلق عليه أيضا بالرسائل الشخصية التي يتم تداولها بين الإخوان والأصدقاء والأقارب ، وفي تعريف آخر « أن الرسائل الإخوانية هي الرسائل الشخصية التي يتبادلها الأفراد في الأغراض المختلفة كالتهنئة والتعزية والمودة والعتاب والاعتذار وغيرها ، ويعبرون فيها عن عواطفهم ومشاعرهم »[1] ومما سبق نستنتج أن الرسائل الإخوانية هي تلك الرسائل التي يعتمدها الشخص لتعبير عن ما يدور في خواطره ، من عواطف ومشاعر اتجاه خليل أو أي شخص تربطه به صلة من بعيد أومن قريب ، وذلك حسب الغرض الذي تحمله أو كتبت من أجله الرسالة وذلك حسب أغراضها المختلفة .

فالرسائل الإخوانية تشمل كل المكاتبات والرسائل التي تبعث بين الإخوان والأصدقاء والمعارف ، نجدها عند العامة والخاصة يتراسلون بها لتهاني والشكر والمدح والاعتذار ، وغير ذلك ، وقد يفصح فيها كاتبها عن قدرته الفنية وبراعته في حسن اختيار كلامه وتحبيره، وحسن صياغته وتأليفه ، ليخرج برسالة في قالب أدبي جميل .

3- التوقيعات :

تعد التوقيعات فن من الفنون النثرية العربية ، ارتبطت ارتباطا وثيقا بالكتابة ، ولها صلة بفن الرسائل ، فالتوقيعات تضيف إلى الرسائل جزء كبير من اكتمالها ، وقد ازدهر هذا الفن الأدبي بكثرة في العصر العباسي ، حيث أصبح ملوك وسلاطين ووزراء الدولة يتعاملون بها في الرد على المراسلات والكتب التي يتلقونها في ما بينهم لمعالجة قضياهم سواء من قريب أو من بعيد ، وهو ما ذهب إليه ناظم رشيد بقوله:« التوقيعات هي الهوامش أو الملاحظات التي يكتبها الخلفاء والولاة والوزراء ، والقواد والقضاة على الكتب الرسمية أو الشكاوي المرفوعة إليهم من أفراد الشعب ، وتمتاز بجمال الأسلوب والإيجاز الشديد والبلاغة المتقنة »[2]، ومما سبق نستنتج أن التوقيعات هي الملحقات من الذيول التي يوقع بها الخليفة أو الولاة وغيرهم من حاشية السلطة ، على الرسائل والكتب المرفوعة إليهم ، ومما نستخلصه

[1] - محمد خير شيخ موسى ، النثر الفني في النقد العربي (فن الكتابة) ،مكتبة بن كثير ، الكويت ،ط1 ،1997م،ص80.
[2] - ناظم رشيد ،الأدب العربي في العصر العباسي ، دار الكتاب للطباعة والنشر جامعة الموصل ، د ط ،1410ه- 1989م ،ص159.

أيضا من هذا القول أن التوقيع يشتمل على شروط تتمثل في جمال الأسلوب والإيجاز الشديد والبلاغة .

ويمكن الإضافة فيما يخص التوقيعات أنها :« يراد بها التعليق على الرسائل الوارد إلى الديوان بما يناسبها مع التعليل لذلك بآية قرآنية ، أو حكمة سائرة ، أو قول محكم ، من إنشاء الكاتب بأسلوب موجز دقيق ربما بلغ الإيجاز حد الإعجاز » [1] ، أي الاستجابة وقوة التأثر بالرسائل الواردة إلى الديوان (ديوان الإنشاء) ، والرد عليها بما يناسبها حسب الموضوع الذي كتبت من اجله ، ويأتي الرد على النحو التالي آية قرآنية أو حكمة أو قول محكم ، فكلها تستلزم الإيجاز والدقة .

[1]- محمد عبيد حجاب ، بلاغة الكتاب في العصر العباسي ، دراسة تحليلية نقدية لتطور الأساليب ، مكتبة الجامعي 31 ، ط2 ،1406ه- 1982م ، ص 96 .

الفصل الأول

دراسة في مضامين الرسائل السلطانية

في كتاب النبوغ المغربي

المبحث الأول : نبذة عن عهد المرابطين والموحدين

1. الدولة المرابطية من ذروة المجد إلى مرحلة التراجع والافول :

" لقد ترسخت مبادئ وأركان الدولة المرابطية خلال خلافة يوسف بن تاشفين لبلاد المغرب ، حيث شملت بإتساعها وتوسعها أقصى نقطة في شمال الأندلس وجنوب السودان ومدينة الجزائر شرقا .

ففي عهد يوشف بن تاشفين شهدت الدولة المرابطية ازدهارا كبير في مختلف مجالات الحياة ؛ عبر عنه أحد المؤرخين بقوله :« بلاد الأندلس في مدته سعيدة في رفاهية عيش وعلى أحسن حال ، لم تزل مرفورة محفوظة إلى حين وفاته رحمه الله [1] ».

فالدولة المرابطية قامت على أساس عسكري يعتمد على الموارد الحربية لتدعيم كيانها ، وهو مانتج عنه اقتصاد مزدهر ، كما ان سلطة الفقهاء لعبت دوراً في التطور فيوسف بن تاشفين كان لا يمضى رأيا دون الرجوع إليهم ، وهدا ماخلافه عنه إبنه ؛« اشتد إيثاره لأهل الفقه والدين ، وكان لا يقطع أمرا في جميع مملكته دون مشاورة الفقهاء[2] » .

هذا كان من أهم العوامل التي ساهمت في العلوا بالدولة المرابطية نحو قمة القوة بقيادة يوسف بن تاشفين إلى حين وفاته انقلب الحال وبدأت الدولة بالانهيار والتراجع ؛ و السبب الذي ادى إلى تراجع دولة المرابطين بقاء الموروثات القبلية ماثلة داخل اجهزة الحكم مما نشأ عنه احتكار المناصب السياسية من طرف قبيلة لمتونة ، فالدولة المرابطية لم تنجح في تجاوز الإطار القبلي داخل منظومة الدولة الكبرى ، وهذا ما أدى إلى إنقلاب القبائل الأخرى عليها والإطاحة بهم .[3]"

[1]- إبراهيم القادري بوتشيش ، المغرب والأندلس في عصر المرابطين ـ المجتمع ـالذهنيات ـ الأولياء ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ، دط ، ص 16.
[2]- المرجع السابق ، ص 17.
[3]- ينظر ، إبراهيم القادري بوتشيش ، المغرب والأندلس في عصر المرابطين ، ص 16-17.

ضف إلى ذلك عجز المرابطون عن خلق بنية إدارية متماسكة تسيطر على الطبيعة البدوية وعناصر التطور جراء المجال الإداري المتطور والمتحضر الذي اتخذته دولة المرابطين عندما ضمت الأندلس لدولتها ، إضافة إلى عدم تحمل وصبر الولاة مسؤولياتهم العسكرية مما إنعكس سلبا على الحكم المركزي ومختلف القبلية .[1] يضاف إلى ذلك ميل الأمراء المرابطين إلى حياة الترف وإنفاقهم الأموال الباهظة على بلاطاتهم مما ادى إلى افلاس خزينة بيت المال وسوء الوضعية المالية ، حيث بهذا التدهور استغلت الثورة الموحدية الوضعية فزادت من متاعب المرابطين ، وبالأخص عندما توفي علي بن يوسف سنة 537هـ/1142م ، عندها كانت الدولة المرابطية تمر بظرفية عصيبة فخلافه تاشفين بن علي بعد أن كانت هذه الأخيرة قد آلت إلى الإنهيار ، إضافة إلى هزيمة المرابطين على يد الموحدين بقيادة أبى حفص .[2] "

***المذهب الملكي في الدولة المرابطية :**

إن دولة المرابطين قد إستمدت تعاليمها من مذهب الإمام مالك ، ثم تطورت الحركة الإصلاحة من مجرد دعوة إلى حركة مسلحة خلصت المغرب الأقصى من البدع الضالة كبدعة برغواطة ، ووحدت المغرب الأقصى في ظل تعاليم الإمام مالك ؛ يقول المراكشي :« ولم يكن يقرب من أمير المسلمين ويحظى عنده إلا عَلِم علِم الفروع أعنى فروع مذهب مالك ، فنفقت في ذلك الزمان كتب المذهب ، وعمل بمقتضاها ونبذا ماسواها وكثر ذلك حتى نسى النظر في كتاب الله وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم يكن أحد من مشاهير أهل ذلك الزمان يعتى بهما كل الإعتناء[3] » ؛ فأحكامهم وفتيتهم كانت مستمدة كلها من مذهب الإمام مالك لا يؤمنون بسواها ، وهذا ما تؤكده رسالة بن تاشفين بن علي إلى أهل بلنسيه حيث يقول فيها :« وعلموا رحمكم الله أن مدار الفتيا ومجرى الأحكام والشورى

[1]- ينظر المرجع السابق ، ص 17.
[2]- ينظر المرجع السابق ، ص18.
[3]- حسن علي حسن ، الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس عصر المرابطين والموحدين ، مكتبة الخنائجى بمصر ،ط1، 1980،ص464.

في الحضر والبدأ ، على ما اتفق عليه السلف الصالح – رحمهم الله من الإقتصار على مذهب إمام دار الهجرة أبى عبدالله مالك بن أنس رضي الله عنه فلا عدول لقاض ولا مفت عن مذهبه ، ولا يأخذ في تحليل ولا تحريم به ومن حاد عن رأيه بفتواه ومال عن الأثمة إل سواه فقد ركب رأسه واتبع هواه [1] ». حيث اصبحت المدن المغربية شمل مراكز لدراسة المذهب المالكي ومن بين المدن التي حضيت بهذه المراكز مدينة تلمسان التي أعدة دار للعلماء ، كما برزت نخبة كبيرة من علماء المالكية الذين حفلت بهم المجالس ودور العلم ومن أهمهم: القاضي عياض بن موسى اليحصبي السبتى الملكي ، كان إمام المالكية وقدوتهم وجامع مذهب الإمام مالك وشارح أقواله والمدافع عنه[2]. وصار هذا المذهب المالكي عقيدة ومذهبا لعامه الشعب في دولة المرابطين.

2. الدولة الموحدية:

خلفت دولة المرابطين في حكم المغرب والأندلس، وقد قامت هذه الدولة على أساس دعوة دينية إصلاحية ، طاابعها التجديد والعظمة وهدفها تحقيق وحدة إسلامية شاملة ، ويعد أبو عبد الله محمد بن تومرت الهرغى مؤسس هذه الدعوة ؛ حيث مزج دعوته بفكرة المهدوية والعصمة ، ولقب نفسه بالمهدي المنتظر والإمام المعصوم .

وعلى هذا الأساس رآى الموحدون أنهم أحق الناس بالخلافة لأنهم أكثرهم إيمانا ومعرفة وإتحاد ، فأقاموا لأنفسهم خلافة شرعية خاصة تستند إلى هذه العقيدة الموحدية الجديدة ، حيث لقبو أنفسهم بأمراء المؤمنين ، يقول المراكشي:« وأقر المهدي على الجيش عبد المؤمن بن علي ، وقال: أنتم المؤمنون وهذا أميركم ، فاستحق عبد المؤمن إمرة المؤمنين [3]».حيث نستنتج من خلال هذا القول أن عبد المؤمن هو السند الاول والوحيد لمحمد بن تومرت في

[1]- المرجع السابق ، ص465.
[2]- المرجع السابق ،ص465.
[3]- أحمد مختار العبادى ، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس ، مؤسسة شباب الجامعة ،إسكندرية ، ص110.

نشر دعوة المهدي المعصوم ، في بقاع بلاد المغرب والأندلس ، فالموحدون كما هو معروف عليهم هم من أصل بربري ويريدون أكتساب الأصل العربي والنسب النبوي بنشر دعوتهم .

" لكن تراجعت وإنهارة خلافة الدولة الموحدية ويرجع ذلك للعدة أسباب منها ؛ الخلاف السياسي الذي وقع بين عامل المشرق والمغرب ؛ إضافة إلى الحروب الصليبية التي عرفتها مناطق بلاد المغرب الاقصى ؛ ويشير الرحاله المعاصر إبن جبير إلى الضريبة الإضافية التي فرضها الإفرنج في الشام على تجارة المغاربة عن سائر تجار المسلمين "[1]؛« لأن طائفة من أنجاد المغاربة غزت مع السلطان نور الدين محمود زنكى أحمد الحصون فكان لهم في أخذ غنى ظهر وأشتهر فجازاهم الافرنج بهذه الضريبة المكسية ألزموها رؤوسهم ، فكل مغربي يزن على رأسه الدينار المذكور في اختلافه على بلادهم »[2]. ففريضة الضرائب على المغاربة من طرف الافرنج عكست سلبا على ميزانيتهم المالية .

***المذهب الملكي في الدولة الموحدية :**

إن المذهب الملكي في دولة الموحدين ظهر وانتشر مع ابن تومرت و عبد المؤمن، ودعوتهم للتمسك بالاحاديث النبوية يقول ابن أبى زرع :« ثم دخلت سنة خمسين وخمسمائة فيما أمر عبد المؤمن .....تغيير المنكر وتحريق كتب الفروع ورد الناس إلى قراءة الحديث وكتب بذلك إلى جميع طلبة المغرب والعدوة [3] » ؛ حيث نستنتج من هذا القول أن عبد المؤمن أمر بحرق كتب الفروع فهو معارض لها وأقتصاره على الحديث النبوي لاغير .

واستمراء علماء وفقهاء المالكية بممارسة هذا النشاط خلال فترة حكم عبد المؤمن وأبنه الخليفه يوسف بن عبد المومن[4] ، إلى أن تولى المنصور الموحدي أكمل مافعله جده ووالده ؛ في صد دعوة الإمام مالك ؛ كما يقول المراكشي :« وهذا المقصد – أي محو مذهب الإمام

[1]- ينظر ، أحمد مختار العبادى ، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس ، ص118.
[2]- المرجع السابق ،ص119.
[3]- حسن على حسن ، الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس عصر المرابطين والموحدين ،ص 466.
[4]- المرجع السابق ، ص466.

مالك من البلاد ، بعينه كان مقصد أبيه وجده إلا أنهما لم يظهراه وأظهره يعقوب هذا [1] »؛ فالمنصور الموحدي كان قد أعلان عن غرضه ورغبته في إزالت هذا المذهب .

وحتى لايترك الناس في حيرة من امرهم وفراغ أمر جماعة من العلماء بجمع الأحاديث من كتاب الأحاديث كالبخاري وصحيح مسلم ، ومايتعلق بالعبادات وألزمهم بداستها وتعلمها ، إلى جانب رصد المكافأت لمن حفظ هذه الاحاديث والتعاليم وأتقنها[2] ، يقول ابن الأثير :« وكان – أي المنصور الموحدي – يتظاهر بمذهب الظاهرية وأعرض عن مذهب مالك ، فعظم أمر الظاهرية أيامه وكان بالمغرب منهم خلق كثير يقال لهم الحزمية منسبون إلى محمد بن حزم رئيس الظاهرية إلا أنهم مغمورون بالمالكية ففي أيامه ظهروا وانتشروا[3] » ؛ فمن هذا القول يتضح ميل المنصور الموحدي للمذهب الظاهري .

فإذا المشكل الوحيد الذي كان يعد عثرة في طريق المذهب الملكي في الدولة الموحدية هو مذهب الإمام مالك الذي سعى كل من عبد المؤمن وابنه يوسف بن عبد المؤمن وحفيذه المنصور الموحدي على محوه وإزاحته من الطريق لنشر دعوتهم دعوة المهدي المعلوم والإمام المعصوم في بقاع المغرب وبلاد الاندلس .

[1]- حسن على حسن ، الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس عصر المرابطين والموحدين ، ص466.
[2]- ينظر، المرجع السابق ، ص 467
[3]- المرجع السابق ، ص 467.

المبحث الثاني: أنواع الرسائل السلطانية

وقد شملت هذه الرسائل السلطانية صنفين من الرسائل الفنية النثرية ؛ وهما الرسائل الديوانية (رسائل امتازت بالطول) ، ورسائل التوقيعات (الموجزة القصيرة).

أ- الرسائل الديوانية : ويدخل ضمن هذه الرسائل الديوانية عدة أنواع أو أصناف حسب القضايا التي عالجتها حيث هي كالتالي:

1. رسائل حربية: مثل

. رسالة يوسف بن تاشفين – كتابه بالفتح في واقعة الزلاقة[1] إلى العدوة[2].

. رسالة أبي حفص الهنتاتي إلى عبد المؤمن بالفتح في ثورة ابن هود.

. كتاب السلطان أبي سعيد المريني الأصغر إلى الملك الناصر فرج بن برقوق يعلمه بإستعداده لمناصرته على العدو المهاجم .

2. رسائل الوصايا : مثل

. رسالة عبد المؤمن إلى الشيخ محمد بن سعد المعروف بابن مردونيش صاحب شرق الأندلس.

. رسالة المأمون الموحدي في إعلان بإبطال دعوى المهدي وعصمته .

3. رسائل التهاني :

. رسالة عبد المؤمن إلى أهل تلمسان وهي من إنشاء الكاتب أبي عقيل بن عطية .

4. رسائل التوبيخ : مثل

. رسالة المأمون الموحدي في توبيخ أهل أند وجر[3] على تخلفهم عن قتال العدو .

5. رسائل التعزية :

*واقعة الزلاقة :أو معركة الزلاقة 479 للهجرة حيث كان رائدها وقائدها يوسف بن تاشفين حيث شملت معسكر أهل الأندلس ومعسكر المرابطين ضد العدو الطاغيه الفونسو السادس .ينظر،حامد محمد خليفه : يوسف بن تاشفين موحد المغرب وقائد المرابطين ومنقذ الأندلس من الصليبيين ،ط1، ص 223-225 -235.

[2]- العدوة : مدينة في مص ، وهي أحد مدن ومراكز محافظة المينا تعتبر البوابة الغربية لمركز مغاغة تنقسم مدينة العدوة إلى منطقتين (منطقة شرق البحر اليوسفي – ومنطقة غرب البحر اليوسفي). ويكيبيديا الموسوعة الحرة .

[3]- أندوجر: مدينة صغيرة بناحية قرطبة . عبدالله كنون : النبوغ المغربي في الادب ، ص 422.

. رسالة السلطان أبي الحسن المريني إلى الملك الصالح أبى الفداء إسماعيل بن محمد بن قلاوون في التعزية بوالده

6. رسائل البيعة :

. بيعة صاحب مملكة بونو من أقطار السودان للمنصور الذهبي أنشأها له كاتب المنصور عبد العزيز القشتالي .

7. رسائل الفتوح :

. كتاب المنصور الذهبي إلى الشيخين البدر القرافي والزين البكري في إعلامهما ببعض الفتوح وتشوقه للأندلس .

. رسالة السلطان أبى الحسن المريني إلى الملك الصالح أبي الفداء إسماعيل بن محمد بن قلاوون والتي تحدث في عن أغرض أخرى منها حديثه عن فتح جبل طارق .

8. رسائل تجارية:

. رسالة للأمير سليمان الموحدي من إنشائه إلى ملك السودان ينكر عليه تعويق التجارة .

9. رسائل المراسيم :

. رسالة يوسف بن تاشفين ظهير[1] له في تلقيبه بأمير المسلمين وناصر الدين.

ب ـ رسائل التوقيعات :

–أما في ما يخص رسائل التوقيعات نجد أنها شملت على حسب موضوعاتها أنواع من الرسائل وهي كالتالي :

1. **رسائل اجتماعية :** مثل توقيعات

. توقيع المأمون الموحدي عندما رفعت امرأة إليه تشكو فيها بجندي نزل دارها وأذاها

. توقيع للأمير سليمان الموحدي ، وقع إلى عامل كثرت الشكاوي منه

[1]ـ ظهير : الظهير في الاصطلاحالمغربي يعني المرسوم الملكي وذلك لأن حامله يستظهر به ، عبدالله كنون :النبوغ المغربي في الادب ، ص 410.

2. رسائل التعهدات:

. توقيع المنصور الموحدي على كتاب قوم بالغوا في الشكوى إليه بعبد الله بن موسى.

3. رسائل الجهاد :

. توقيع يوسف بن تاشفين على كتاب الفونش .

4- رسائل أخلاقية :

. توقيع عبد المؤمن على رسالة أبى جعفر بن عطية .

. توقيع المنصور الذهبي على رسالة قاضيه .

. توقيع المنصور عندما رفع إليه أهل فأس اعتذارهم لما كان بها من الفتنة.

المبحث الثالث: مضامين الرسائل السلطانية في كتاب النبوغ المغربي

لقد احتوى كتاب النبوغ المغربي على كم هائل من الرسائل السلطانية تنوعت موضوعاتها كلٌّ حسب القضايا التي احتوتها في مضامينها ؛ ومنه نطرح السؤال فيما تتمثل مضامين هذه الرسائل السلطانية ؟

- مضامين الرسائل :

1-توقيع يوسف بن تاشفين على كتاب الفونش[1]

. مضمونها : جاءت هذه الرسالة بمثابة رد أو تعليق من قبل يوسف بن تاشفين على التهديد الذي تلقاه من الفونش فكان رد يوسف بن تاشفين « الجواب ما ترى لا ما تسمع » ، وكان الرد مباشرة على ظهر كتابه وهذا يشير إلى أنه لم يقوم يوسف بن تاشفين حتى بتكليف نفسه على كتابة رسالة على ورقة جديدة بالإضافة إلى إيجازه في القول هذا يثبت قوته وعدم خوفه من الفونش ؛ فتوقيعه « الجواب ما ترى لا ما تسمع» يقصد به لن أخبرك بما سأفعل ولكن سترى ما سأفعل بك أيها الطاغية ، فهو عبارة عن تهديد بقيام الحرب والجهاد ، فعلم الفونش أنه بُلِيَ برجل يفعل ولا يقول .

. وإذا قمنا بتصنيف هذه الرسالة فنستطيع القول عنها أنها رسالة تهديديه تحذيرية ؛ لأن كلا الطرفين قاما بتهديد واستفزاز بعضهما البعض .

فقد جاء في كتاب إنتصارات يوسف بن تاشفين لحامد محمد الخليفة شرح يقارب هذا الشرح الذي قدمته في ما يخص مضمون هذا التوقيع ، لَمَا وصل كتاب ألفونسو السادس إلى يوسف بن تاشفين أمر كاتبه أن يرد على رسالة ألفونسو ، فكتب كتابا مفصلا رد فيه على كل الفقرات التي وردت في تلك الرسالة ، ردا قويا ومناسبا ومعبرا ، ولما قرأ ذلك الرد أمير المسلمين أعجب به لكنه رآه مطولا فأمر كاتبه أن يكتب على ظهر رسالة ألفونسو :« من

[1]- عبد الله كنون ،النبوغ المغربي في الأدب العربي ، ج1-3 ،د ط ، ص 407.

أمير المسلمين يوسف إلى أذفونش ، أما بعد فإن الجواب ما ترى لا ما تسمع » [1] ، وقد وصل رد أمير المسلمين إلى ألفونسو ، فعلم أن هذا الرد المعبر الحازم له ما بعده مما أربك مخططات ألفونسو واضطر إلى رفع الحصار عن الكثير من المدن الأندلسية ، التي كان يراها قد أصبحت في قبضته ومما يصور لنا حالة الجانبين في ذلك الوقت ونظرة ألفونسو للجانب الإسلامي ، ما أورده لنا شاعر بني مرين عبد العزيز الملزوزي في أرجوزته حيث يقول:

وكانت الروم بتلك العدوة في كثرة وعدة وقوة

ويحسبون أن في الأرض دونهم بطولها والعرض

وقد أظهروا الطغيان للأنام وأكثروا الجور على الإسلام[2]

. وكانت هذه كلها دوافع شجعت على الجهاد الذي نادى به يوسف بن تاشفين ، وبالفعل وقعت معركة الزلاقة .

2-كتابه بالفتح في واقعة الزلاقة إلى العُدْوةَ [3]

مضمون الرسالة : هي رسالة حربية تصف سير المعركة التي جرت بين يوسف بن تاشفين وألفونسو السادس حيث نلاحظ أن هذه الرسالة قد ابتدأت باتفاق بين يوسف بن تاشفين وألفونسو وذلك بقول يوسف « وتوافقنا بإزائه لقناه الدعوة وخيرناه بين الإسلام والجزية والحرب ، فإختار الحرب فوقع الإتفاق [4] »، فكان اللقاء يوم الإثنين الرابع عشر لرجب ، ولكن ألفونسو وجيشه لم يحترموا الإتفاق ونقض العهد ، فأعلن يوسف بن تاشفين الحرب .

حيث أنه جعل عليهم العيون(الجوسسة) ، وبثوا الطلائع يترصدون أخبار وتحركات العدو ، واستمر الحال إلى أن أتتهم« الأنباء في سحر يوم الجمعة الحادي عشر من رجب أن

[1]- انظر –حامد محمد الخليفة ،إنتصارات يوسف بن تاشفين ، مكتبة الصحابة ،الامارات –الشارقة ، مكتبة التابعين ، القاهرة ،عين شمس ، ط1 ، 1425ه- 2004م ، ص116.

[2]- المرجع نفسه ،ص117.

[3]- عبد الله كنون ، النبوغ المغربي في الأدب العربي ،ص407.

[4]- المرجع نفسه ، ص407.

العدو قد قصد بجنوده نحو المسلمين ، يرى أنه قد اغتنم فرصته في ذلك الحين فإنتدبت إليه أبطال المسلمين وفرسان المجاهدين فتغشته قبل أن يتغشها..... »[1] ، فهذه الرسالة قامت بتصوير هذه الحرب أو الواقعة ، تصويرا دقيق مس جميع الجوانب (من حيث ترتيب الجيش بالإضافة إلى عددهم ،خيولهم ، مراكبهم المنتظمة.....) ، بالإضافة إلى تصويره كيف عصفت الحرب ، وكيف وكفت ديَمْ السيوف والرماح بالطعن والضرب وطاحت المهج ، وكيف أقبل سيل الدماء في هوج إلى أن نزل من السماء النصر العزيز والفرج ، فكان النصر حليف المسلمين ، وولى الفونش مطعونا في إحدى ركبتيه ، فأفقدته إحدى ساقيه ، في خمسمائة فارس من مائة وثمانين ألف فارس ، وهي خسارة كبيرة رغم كثافة الهجوم وكثرة المشاركين في صفوف ألفونسو ، ورغم تفوقهم النوعي في العدة والسلاح ، فكانت الصدمة قوية اثر خسارتهم ، ويتضح في أخر هذه الرسالة أن ألفونسو قد مات مع الخمسمائة فارس الذين كانوا معه بالطريق .

وحين تمت الهزيمة وتتابع الفرار ، عاد رؤساء الأندلس المنهزمون نحو بطليوس والغار ، وتراجعوا حذراً من العار ، ولم يثبت منهم غير زعيم الرؤساء والقواد ، أبو القاسم المعتمد بن عباد ، فأتى إلى أمير المسلمين وهو مهيض الجناح فهنأه بالفتح الجميل ، فبفضل الله انتصر المسلمونَ على العدو الطاغي ؛« وكان يوما لم يسمع بمثله من يوم اليرموك والفادسية ، فياله من فتح ثبت قدم الدين بعد انزلاقها ، وعادت ظلمة الحق إلى إشرقها .... واعتزبها رؤساء الأندلس ، فجزي الله أمير المسلمين وناصر الدين أبا يعقوب يوسف بن تأشفين أفضل جزء [2]» ، فهذا أعظم انتصار بالنسبة للمسلمين .

جاءت هذه الرسالة طويلة ؛ صورة مجرى الحرب بدقة، وإذا صنفنا هذه الرسالة فتصنيفها يكون ضمن الرسائل الحربية.

[1]- المرجع السابق ،ص408.
[2]- حامد محمد الخليفة ، انتصارات يوسف بن تاشفين ،ص150.

3. في ظهيرا له في تلقيبه بأمير المسلمين وناصر الدين [1]

مضمون الرسالة: تعد هذه الرسالة بمثابة مرسوم بعث به يوسف بن تاشفين إلى الأشياخ والأعيان والكافة ، ليعلمهم بالاسم الجديد الذي سيلقب به ابتداءً من تلقيهم هذا المرسوم ، وذلك بتلقيبه بأمير المسلمين وناصر الدين يوسف بن تاشفين ، كتبه من مدينه مراكش في نصف محرم سنة466هـ ، وهذا ما جعله يقول في هذا المرسوم (رأينا أن نخصص أنفسنا بهذا الإسم لنمتاز به على سائر أمراء القبائل وهو أمير المسلمين وناصر الدين فمن خطب الخطبة العلية والسامية فليخطبها بهذا الإسم إن شاء الله) ، فهذا المرسوم أو الظهير يهدف به إلى توثيق هذا الإسم على لسان العامة والخاصة من الناس ، داخل وخارج المغرب ، ويعود سبب تسميته بهذا الإسم عندما اجتمع زعماء القبائل وأعيان المرابطين وقالوا ليوسف بن تاشفين :« أنت خليفة الله في المغرب وحقك أكبر من أن تدعي بالأمير بل ندعوك بأمير المؤمنين ، فقال لهم : حاشا لله أن أتسمى بهذا الإسم الذي يتسمى به خلفاء بني العباس ، لكونهم من تلك السلالة الكريمة ولأنهم ملوك الحرمين مكة والمدينة ، وأنا راجلهم والقائم بدعوتهم ...فقالوا له :لابد من إسم تمتاز به ، فقال لهم :يكون أمير المسلمين فقيل :إنه هو الذي اختار هذا الإسم لنفسه فأمر الكتاب أن يكتبوا بهذا الإسم إذا إليه وقصد صدر منصور في هذا الخصوص يعلم المرابطين بالإقتصار على هذا اللقب في مخاطباتهم لأمير المسلمين » [2]، فمن خلال هذه المشورات والاختيارات والآراء المختلفة لتلقيب يوسف بن تاشفين أسما يليق بمقامه ، فسلط الاختيار على أمير المسلمين وناصر الدين ، وهذا ما لاحظناه في هذا المرسوم الذي يثبت ويوثق هذا الإسم .

إضافة على هذا نلاحظ أن هذه الرسالة جاءت موجزة مقتصرة على موضوع بعينه ، حيث قام يوسف بن تاشفين بإصدار قرار جديد (المرسوم) والمتمثل في تلقيبه بأمير المسلمين

[1]- عبد الله كنون ، النبوغ المغربي في الأدب ، ص

[2]- حامد محمد خليفة ، يوسف بن تاشفين موحد المغرب وقائد المرابطين ومنقذ الأندلس من الصليبيين ، دار القلم – دمشق ، ط1، 424ه-2003م ، ص270.

وناصر الدين ، يتطلب التنفيذ راجيا من الأشياخ والأعيان والكافة وأمراء القبائل بدعوته ومعرفته بهذا الاسم ، والتداول به في ما بينهم .

4. كتاب عبد المؤمن إلى الشيخ محمد بن سعد المعروف بإبن مردونيش صاحب شرق الأنددلس [1]

مضمون الرسالة : هذه الرسالة بعث بها عبد المؤمن أمير المؤمنين إلى الشيخ أبى عبد الله محمد بن سعد يدعوه إلى الدخول في دعوتهم ، حيث استهل رسالته بذكر إسم المرسل والمرسل إليه (من أمير المؤمنين إلى الشيخ عبد الله محمد بن سعد)، ثم تحية السلام ، والتحميد (الحمد لله الذي له الإقتدار.....والإستئثار ،)، ثم الصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم وآله وصحبه ، ثم الرضا عن الإمام المعصوم والمهدي المعلوم وهذه الديباجة الخاصة بألقاب المهدي المعلوم ؛ هي ديباجة خاصة بالنسبة إلى عبد المؤمن.

ثم الشروع في موضوع الرسالة حيث قال (كتابنا كتب الله لكم نظراً يريكم المنهج ويلقيكم الأبهج فالأبهج ، وأتاكم الله من نعمة الإيمان ، وعصمته الإنقياد له والإذعان ، ما تجدون به اليقين – والثلج –من حضرة مراكش حرسها الله تعالى ، ولا استظهار إلا بقوته وحوله ، ولا استكثار إلا من إحسانه وطوله)، فهو بذلك يدعوهم للمسارعة في طاعة الله ، فبنعمة الإيمان التي أتاها الله لهم وعصمة الإنقياد له تخضعهم لطاعته ، فلا حوله ولا قوة إلا بالله العلي العليم ولا استكثار إلا من إحسانه وطوله.

فعبد المؤمن أمير المؤمنين من خلال رسالته هذه وقف على أوامر موجهة إلى الشيخ محمد بن سعد ورعيته ، في إقامة حق الله وذلك في قوله: (رأينا أن نخاطبكم بكتابنا هذا أخذ بأمر الله تعالى لرسوله في المضاء إلى سبيله ، والتحريض على إغتنام النجاء وتحصيله ، وإقامة الحجة في تبليغ القول وتفضيله) ؛ وفي المقابل ينتظر منهم الإجابة وذلك في قوله :(فأجيبوا – رفعكم الله.)، والإجابة تكون من خلال دعاء الله ، والتمسك بأمر المهدي في إتباع سبيله

[1]- عبد الله كنون ، النبوغ المغربي في الأدب العربي ، ص411.

يهتدوا ، كما يأمرهم في قوله أصرفوا أعنة العناية إلى النظر في المئال والتفكر في نواشئ التغير والزوال ، وتدبروا جري هذه الأمور وتصرف هذه الأحوال .

كما أننا نقف في هذه الرسالة على نقاط تكاد تكون نصائح موجهة من طرف عبد المؤمن إلى الشيخ محمد بن سعد ومن معه وذلك في قوله : (وأعلموا أنه لا عزة إلا بإعزاز الله تعالى فهو ذو العزة والجلال ، ولا يغرنكم بالله الغرور ، فالدنيا دار الغرور وسوق المحال)؛ فهو يرجوا بذلك قبول النصيحة وابتداء التوبة الصحيحة ، والعمل بثبوت الإيمان والتقرب إلى الله ، والإسراع في طاعته ، حتى يتنعموا بنعيم الراحة المتصلة والنفس الممتنعة ، كما نلاحظ أيضا أنه بعد تقديمه هذه النصائح يؤكد على ضرورة التمسك بهذه النصائح القيمة وذلك في قوله : إلا من تمسك بهذه العروة الوثقى ، واستبقى لنفسه من هذا الخير الأدوم الأبقى ، وأما من أخلد إلى الأرض واتبع هواه ، ورغبَ بنفسه عن هذا الأمر العزيز إلى ما سواه ، فقد خسر مذهبه ومطلبه .

وفي الأخير يُصر عليهم أن يحسنوا الاختيار وأن يصلوا الأذكار والإعتبار ، وأن يبتدروا الإبتدار ، ثم يستشهد بأهل بلسنة حين إعلانهم بكلمة التوحيد وتعلقهم بهذا الأمر السعيد ، فهو بذلك يرجوا منهم الدخول في دعوتهم وذلك من خلال قوله : (ويحذبكم إلى مُوالاة هذه الطائفة المباركة جاذبُ يُسعد وسائق يُرشد، والله يمن عليكم بما ينجيكم ويمكن لكم في طاعته أسباب تأميلكم وترجيكم بمنه والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

إذاً هذه الرسالة إذا أردنا تصنيفها فإننا نصنفها من نوع رسائل الوصايا ، فهذه الرسالة احتوت على مجموعة من الوصايا والأوامر والنصائح ، فهي رسالة هادفة ، وقفت على نصائح وأوامر تهدف إلى الإصلاح والنجاح والإسراع إلى طاعة الله ، وهي من الرسائل الديوانية امتازت بطولها .

5. رسالة من عبد المؤمن إلى أهل تلمسان وهي من إنشاء الكاتب أبى عقيل بن عطية[1]

[1]- عبد الله كنون ، النبوغ المغربي في الأدب العربي ، ص413.

مضمون الرسالة : وهي رسالة من إنشاء الكاتب أبى عقيل بن عطية عن الخليفة عبد المؤمن إلى طلبة تلمسان يعلمهم بفتح قسنطينة.

فالرسالة استهلت بذكر إسم المرسل والمرسل إليه (من أمير المؤمنين إلى الطلبة الذين بتلمسان وجميع من فيها من الموحدين) ، ثم التحميد (أما بع فالحمد لله ....) ،ثم الصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم وآله وصحبه الطاهرين ، والرضى عن الإمام المعصوم المهدي المعلوم ؛ لا تكاد تخلوا رسالة من رسائله من هذه الديباجة .

ثم التطرق إلى موضوع الرسالة وذلك في قوله : (هذا كتابنا إليكم كتب الله لكم فيما خولكم النماء والزيادة ، ومكن في تمكينكم وإصلاح شؤونكم الإنالة والإفادة ، وبسط في أرجائكم ومتعلقات رجائكم اليمن والسعادة...) ، فهذا بمثابة تعبير على ما يدور بداخله من مشاعر إتجاههم ، فهو يعبر عن فرحته بهذا الفتح العظيم ، وذلك بقوله : (وقد تقدم اعلامكم واصل الله سروركم ، وضاعف شكوركم بما كان من صنع الله تعالى في فتح هذه البلاد التي يسَّر مرامها بحوله واقْتداره)، وقوله : (فتحَ لهم الفتح الذي تقدم إليكم بيان القول فيه وأعرابه ، و أورد عليكم إبداعُ القَدر في تقريبه وأغرابه ، وعلمتم كيف إنهزمت له جموع الضلال وأحزابه).

كما نجد أن عبد المؤمن أمير المؤمنين قد ذكر أبا زكرياء يحيى إبن العزيز بالله المنصور في رسالته هذه وهو صاحب مملكة بجاية : « يخبرهم بإنابته إلى التوحيد »[1]، أي أنه دخل في دعوة التوحيد والرجوع إلى الحق ، إلى أن أصرف الله ألباب القوم المذكورين إلى قبلة الإصابة ، فإتفق رأيهم على إنفاذ جماعة منهم فيهم أخو أبى زكرياء وشيوخ صنهاجة وقسنطينة معتصمين بهذه العروة الوثقى ، مستظلين بظلال هذه الدعوة المحيطة الجامعة ، ودخل القطر من أمناء الموحدين وغزاتهم .

[1]- محمد المنوني ، العلوم والأدب والفنون على عهد الموحدين ، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر ، ط2 ، 1397ه-1977م ، ص186.

وجاءت خاتمة هذه الرسالة بمثابة شكر؛ شكر الله على النعم التي انعم بها على أهل تلمسان وهي نعمة الفتح وذلك بقوله : (وأتم الله نعمته بهذا الفتح المحيط والصنع المبسوط) ، و بقوله : (والله نسأل بشكر هذه النعم المتظاهرة عونا ممدودا ، وحولْاً بمعاقدة المعونة الربانية معقوداً وقوة تلقى من حمدها إلى كل جديد منها جديداً بمنه ،) .

أما في ما يخص ذكر عبد المؤمن المهدي المعصوم في رسالته ؛ جمع أن المهدوية وعصمة صاحبها وليدة الشيعة ، ولكنها فكرة استغلت وحدها لتدعيم الدعوة التي قام بها إبن تومرت وما كان لها من نتيجة الإطاحة بالمرابطين ، وإقامة دولة الموحدين وفي مقدمتهم الأخوان أبو جعفر وعقيل بن عطية .[1]

هذه الرسالة من الرسائل الديوانية امتازت بطولها حيث بلغت أربع صفحات ، بالإضافة إلى أنها تحمل في مضمونها التهنئة .

6. توقيعه على رسالة أبى جعفر بن عطية

كان عبد المؤمن قد نقم على وزيره أبى جعفر أفشاءه لسر أفضى إليه به فقبض عليه ثم نكبه وقد صدرت عن أبى جعفر إليه رسائل استعطاف بليغة يتنصل فيها من الذنب ويعتذر، فوقع عبد المؤمن على إحداها« الآن وقد عصيتَ قبلُ وكنتَ من المفسدين[2] »

مضمون الرسالة : هذه الرسالة هي عبارة عن رد وجواب على الرسائل التي بعث بها أبى جعفر بن عطية إلى عبد المؤمن ؛ فلما بعث له بقصيدته الآتية يستعطفه أنكبه:

– أ –

عطفا علينا أمير المؤمنين فقد بان العزا لفرط البث والحزن

قد اعرقتنا ذنوب كلما لجج وعطفه منكم انجي من السفن

–ب –

أنوح على نفسي أم انتظر الصفحا فقد آن أن ننسى الذنوب وأن نمحى

[1]- محمد بن تاوبت ، الوافي بالأدب العربي في المغرب الأقصى ج1،دار الثقافة – الدار البيضاء ، ط1، 1402ه-1982م ،ص255.
[2]- عبد الله كنون ، النبوغ المغربي في الأدب العربي ، ص417.

فما لنا في ليل من السخط حائر ولا اهتدي حتى أرى للرضا صبحا[1]

وهي أبيات تعبر عن ندمه ورغبته الشديدة في الصفح ، فوقع عبد المؤمن على القصيدة بهذه الآية الكريمة «الآن وقد عصيت ، من قبل وكنت من المفسدين » ؛ فإذا أردنا تفسير أو تحليل مضمون هذا الرد أو الجواب ، يجب علينا تفسيرها تفسيرا قرآنيا قبل كل شيء:

« قال تعالى : مبينا أن هذا الإيمان في هذه الحالة غير نافع له ، (الآن) تؤمن وتقر برسول الله [وقد عصيت قبل] أي :بارزت بالمعاصي ، والكفر والتكذيب ، [وكنت من المفسدين] فلا ينفعك الإيمان كما جرت عادة الله ، أن الكفار إذا وصلوا إلى هذه الحالة صار إيمانا مشاهداً كإيمان من ورد القيامة ، والذي ينفع ، إنما هو الإيمان بالغيب » [2]؛ وقد أشارت هذه الآية الكريمة إلى أن الإيمان والتوبة بعد كثرة العاصي والكفر والتكذيب غير نافع ، وإنما الإيمان الأصح هو الإيمان بالغيب أنفع لصاحبه .

وإذا رجعنا إلى مقصود عبد المؤمن بهذا الرد والجواب ، فهو يتضمن نفس مقصود هذه الآية الكريمة ، فهما يتناسبان مع بعضهما البعض ، فهو يرى أن الشخص الذي ارتكب معصية وذنب ليس من السهل أن يتوب ويندم ، فقد حكم على أبى جعفر بن عطية بحكم صارم في حقه ، فهو يرى أن أبى جعفر من الأشخاص الذين لا يعتبرون من أغلاطهم ، فمثلما أذنب الآن يستطيع أن يذنب لاحقا ، فصاحب المعاصي لا يتوب ولا تنفع توبته .

فإذا صنفنا هذه الرسالة فهي من رسائل التوقيعات الموجزة، وهي عبارة عن رد وجواب، جاء آية قرآنية في شكل حكم نهائي على مشكلة وقضية أخلاقية.

7. رسالة أبى حفص الهنتاتي إلى عبد المؤمن بالفتح [3]

[1]- محمد المنوني ، العلوم والأدب والفنون على عهد الموحدين ، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر ، سلسلة لتاريخ (6)، ط2 ، الرباط ، 1397ه-1977م ، ص220.

[2]- عبد الرحمان بن ناصر السعدي ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، مكتبة العبيكات ، الرياض –العليا ، ط1 ، 1422ه -2001م ، ص 372.

[3]- عبد الله كنون ، النبوغ المغربي في الأدب العربي ، ص 418،419، 420.

في ثورة أبن هود ، وهي من إنشاء الوزير أبى جعفر بن عطية

مضمون الرسالة: هي رسالة من إنشاء الوزير أبى جعفر بن عطية كتبها عن أبى حفص الهنتاتي إلى عبد المؤمن بعد إنتصاره على محمد بن هود الماسي ، فهي رسالة وصف فيها حرب ماسة ، والنصر الذي حققه بفضل الله تعالى وذلك بقوله (وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم) ، واستشهاده بهذا البيت الشعري :

وفتح تفتح أبواب السماء له وتبرز الأرض في أثوابها القشب

وهو بيت من قصيدة فتح عمورية لأبى تمام الطائي .

ويتضح الوصف في هذه الرسالة من خلال قوله : (وتقدمت بشارتنا به جملة ، كان أولائك الضالون قد بطروا عدوانا وظلما ، ونسلت إليه الرسُل من كل حدب ، أوردتهم تلك المهالك ، من كان بتلك السواحل ممن ارتسم برسم الإنقطاع ، تدرعوا الرياء جلبابا .....).

ويستمر في الحديث إلى أن يصل إلى ذكر الثائر محمد بن هود الماسي فيقول : (فصرع بحمد الله تعالى لحينه ، وبادرت إليه بوادر منونه ، وأتته و افداتُ الخطايا عن يساره ويمينه.....هولاً عظيما وكرباً،) ؛ فقد صور لنا في هذا المقتطف من الرسالة كيف كان الماسي يدعي أنه لن تصيبه المنية والنوائب ، وأنه كان يختلق على الله إفكا وزوراً ، إلى أن أخذهم الله تعالى بكفرهم وفسادهم ، فامتلأت تلك الجهات بأجسادهم ، وإنقطعت آمادهم .

ويواصل في وصف الحرب إلى أخر الرسالة في قوله : (إلى أن انبسطت مرقات الدماء ، على صفحات الماء ، وحكَت حمرتها على زرقته ، وجرت العبرة للمعتبر، في جري ذلك الدم جري الأبحر .

هذه الرسالة هي من الرسائل الديوانية اعتمدا صاحبها أسلوب الوصف ، وذلك من خلال وصف هذا الانتصار العظيم في أبهج حلة ؛ إضافة إلى وصف مجرى حرب ماسة من جهة أخرى ، حيث امتازت بالطول أيضا .

8. توقيع المنصور الموحدي على كتاب الفونش

كان المنصور الموحدي حسن التوقيع جدا يضرب به المثل في ذلك وكتب إليه الفونش حين كان يستعدُّ لغزْوَة الأراك الشهيرة يتوعده ويهدده ويطلب إليه أن يبعث بقطَع من اسطوله ليجُوزَ هو إلى محاربته في عُقْر داره ويكْفيه مَؤُونَة الحركة فلما وصل كتابه إلى المنصور مَزَّقه وكتب على ظهر قطعة منه« إرْجعْ إليهم فلَنأْتيَنَّهُم بجنود لا قبَلَ لهم بها و لَنُخْرجَنَّهُم منها أَذلَّةً وهم صَاغرُن » ثم كتب « الجوابُ ما ترى لا ما تسمع » وانشد متمثلا :

ولا كُتْبَ إلَّا المَشْرَفيَّةُ والقَنَا ولا رُسُلُ إلَّا الخَميسُ العَرَمَرَمُ[1]

مضمون الرسالة : هي من رسائل التوقيعات جاءت رد وجواب من المنصور الموحدي يخاطب فيه الفونش ومن معه ردا على رسالته ؛ فجاء توقيعه في ثلاثة صيغ آية قرآنية [سورة النمل :الآية 37] ومقولة ، وبيت شعري للمتنبي .

وذلك لإظهار القوة للأعداء فبتضمينه قول الله تعالى : { ارجع إليهم فلنا تينكم بجنود لا قبل لهم بها } فهذا التهديد والوعيد يظهر قوته وعدم خوفه من الفونش ، وبقوله [الجواب ما ترى لا ما تسمع] هذا يؤكد أنه مستعد لمواجهته بالفعل وبالقوة لا مجرد بالقول فقط ، وأنه في أتم الإستعداد هو وجنوده للمواجهة وذلك من خلال تضمين بيت المتنبي الذي عبر به على هذا الاستعداد فالمشرفية يقصد بها(السيوف) ، والقَنَا يقصد بها (الرماح) ، والخميس العرمرم يقصد به (الجيش الكثيف) فانتقائه لهذا البيت الشعري ليستهدف به العدو الطاغية ليخبره أنه لا يهابه ولا يخاف من تهديداته ولا يخاف جنوده .

9. توقيع أخر له

طلب يوما من قاضيه أن يختار له رجُلَيْن لغرضين من تعليم ولده وضبط أمر فعرفه برَجُلَيْن قال في أحدهما : هو بحر في علمه وقال في الأخر : هو بَرٌّ في دينه ، ولما خرج المنصور أحضرهما وأختبرهما فقصرا بين يديه وأكذبا الدعوى فوقع المنصور على رُقْعَة القاضي « أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، ظهر الفساد في البر والبحر [2] »

[1]- عبد الله كنون ، النبوغ المغربي في الأدب العربي ، ص420.
[2]- المرجع نفسه ، ص421.

مضمون الرسالة : هذه الرسالة هي من رسائل التوقيعات جاءت كرد وجواب من المنصور على قاضيه ؛ فقد استفتح جوابه بالاستعاذة في قوله أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، والشيطان في كلام العرب :« كل متمرد من الجن والإنس والدواب وكل شيء » [1] ، والرجيم الملعون ، أي شياطين الإنس وشياطين الجن .

حيث نلاحظ أن هذا الرد جاء آية قرآنية من سورة الروم [الآية: 41]؛ فإذا أردنا تفسير وتحليل مضمون هذا التوقيع يجب علينا أولاً تفسير هذه الآية القرآنية لتوضيح وتقريب المعنى المراد من توظيفه هذه الآية .

قال الله عز وجل:{ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي علموا لعلهم يرجعون }[الروم الآية:41] .

ففي قوله عز وجل :"ظهر " أي : بان واتضح ، وقوله عز وجل: " الفساد " ضد الصلاح ، ففساد الزرع بيبسها وتلفها بالعواصف والأمطار المغرقة .....؛ حيث يشمل الفساد المعنوي والحسي معاً ، فالفساد الحسي ما سبق ذكره ، أما الفساد المعنوي هو كثرة المعاصي والفسوق وإنتشارها بين الناس وعدم المبالاة بها حتى يصبح المنكر معروفا والمعروف منكراً ، وهذا من أعظم الفساد.

وقوله تعالى: " في البر" أي: [أي القفار بقحط المطر وقلة النبات]، [والبحر] أي: البلاد التي على الأنهار بقلة مائها]؛ والمُراد بالبحر العمران الذي على شواطئ البحار[2] ».

فإذا رجعنا إلى هذا الرد أو الجواب ؛ فإن المنصور أراد به أن يقول : قد اتضح واكتشف حقيقة هذين الرجلين أمام الملأ والخلق ، وذلك بكثرة المعاصي والفسوق والمنكرات التي ارتكبها وانتشارها بين الناس وعدم المبالاة بها بالنسبة لهم ، وهذا في رأيه الفساد بعينه ؛

[1]- بشار عواد معروف ، وعصام فارس الحرستاني ، تفسير الطبري من كتابه البيان عن تأويل أي القرآن م1، الفاتحة – البقرة ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ،ط1 ، 1415ه -1994م ، ص49.

[2]- ينظرمحمد بن صالح العثيمين ، تفسير القرآن الكريم سورة الروم ، من إصدارات مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية ، المملكة العربية السعودية ، سلسلة مؤلفات فضيلة الشيخ 131، ط1 ، 1436ه ، ص253-254.
الرقعة: قطعة من الورق أو الجلد يكتب فيها .

فجواب أو رد المنصور يقصد به أو يلمس به جانب الفساد المعنوي لهذين الرجلين وخروجهما وفسوقهما ، حيث الذي قال عنه هو بحر في علمه اتضح أنه لا يفقه شيئاً من العلم حتى يقدمه في مجال التعليم أو ضبط أمر ، لأن العلم مجال واسع مقدار البحر فلا يجوز لمن لا يفقه العلم أن نقوم عنه عليم وخبير بهذا العلم ، والذي قال عنه أنه بر في دينه اتضح أنه لا يفقه في الدين شيء ، ونظرته الشاملة لهذين الرجلين أنهما سبب لفساد الآمة وهذا من أعظم الفساد ، وقال الله تعالى :[وَلَاْ تُفْسِدُوا فِي الأرض بَعدَ إصلاحِهَا] [سورة الأعراف :56].

المنصور بتوظيفه هذه الآية الكريمة أراد بها توضيح ما سوى هذين الرجلين؛ بما أن (البر) هو ما سوى العمران، و(البحر): هو العمران الذي على شواطئ البحار ، فكلهما معرضين للخطر والهلاك .

10. رسالة للمأمون الموحدي من إنشائه[1]

مضمون الرسالة: هي رسالة بعث بها عبد الله إدريس أمير المؤمنين إلى الطلبة والأعيان والكافة ، من أجل إبطال دعوى المهدي وعصمته ، لأن دعوة المهدي باطلة وبدعة ، لا مهدي ولا عصمة له ، حيث يؤكد في هذه الرسالة أن المهدي الوحيد هو عيسى إبن مريم حيث احتوت رسالته على توصيات لإتباع العقيدة الصحيحة ، والإستعانة بالله والتوكل عليه ، وتبرئه من كل من إتبع دعوة المهدي وعصمته لأنهم في المعتقد كفار .

وإذا صنفنا هذه الرسالة فهي من الرسائل الديوانية موضوعها يدخل ضمن رسائل الوصايا ، جاءت قصيرة لم تتجاوز صفحة ونصف .

11. رسالة أخرى له من إنشائه أيضا[2]

مضمون الرسالة : هي رسالة تحمل في مضمونها توبيخ وجهه المأمون الموحدي إلى أهل آندوجر على تخلفهم عن قتال العدو .

[1]- عبد الله كنون ، النبوغ المغربي في الأدب العربي ، ص421-422.
[2]- المرجع نفسه ، ص 422-424 .

فالرسالة في مجملها تعبر عن غضبه الشديد حيال تصرفهم المشين ، وتخوفهم وتراجعهم عن قتال عدوهم ، وهذا واضح من خلال الجمل والعبارات الموظفة في رسالته مثل قوله : (تبا لهممكم المنحطة وشيمكم الراضية – ورأيتم غير شيء فحسبتموه طلائع الكتاب – فمالكم لصهوات الخيول وإنما على الغانيات جر الذيول –) ، فهي عبارات تدل على إستصغار وإحتقاره لهم لخوفهم من العدو .

وفي توبيخه أيضا قوله : (وتظنون أنكم إذا تفرقتم لا نجمع لكم شتاتا ولا ندني منكم نزوحاً – فأميطوا هذه النزعة النفاقية عن خواطركم قبل أن نمحو بالسيف أقوالكم وأفعالكم ونستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم)، فهو بذلك يضعهم في الأمر الواقع إما الإستقامة والعزم لمقاتلة العدو ، أو انسحابهم وترك المجال لجنود غيرهم .

وهي من الرسائل الديوانية ، فإذا صنفنها حسب المضمون الذي احتوته تعد من الرسائل التوبيخية ، وأما من حيث الطول لم يعتم كاتبها التطويل لأن الموضوع لا يستحق المبالغة فيه كثيرا ، فهي لم تتجاوز صفحة ونصف ، فهي ليست مثل بقية الرسائل الديوانية الطويلة لم تعتمد على مقدمات ولا تمهيدات ، بل شرعت في الموضوع مباشرة وذلك برمي سهام التوبيخ مباشرة على جنود أهل آندوجر .

12. توقيع له

رفعت امرأة إليه رقعة تشكو فيها بجندي نزل دارها وآذاها فوقع عليها «يخرج هذا النازل ولا يعوض بشيء من المنازل [1] »

مضمون الرسالة : هو عبارة عن حكم قضائي ونهائي على الجندي لصالح المرأة ، حيث حكم عليه بالخروج من هذه البلاد بدون أن يأخذ شيء معه عقابا له ، وهي قضية إجتماعية في منظورها ، فهو بذلك أنصف المرأة ووضع حداً لظاهرة الفساد في المجتمع (عدم التعدي على حرمات البيت) .

[1]- المرجع السابق ، ص 424.

وهي من نوع رسائل التوقيعات جاءت موجزة ، ورداً وإستجابة لإستغاثة تلك المرأة ، هدفه العدل واعطاء كل ذي حق حقه .

13. رسالة للأمير سليمان الموحدي من إنشائه[1]

رسالة إلى ملك السودان ينكر عليه تعويق التجارة

مضمون الرسالة : وهي رسالة بعث بها الأمير سليمان االموحدي إلى ملك السودان في ما يخص تعويق ممارسة التجارة ، حيث يتضح من خلال هذه الرسالة أسلوب وأدب وأخلاق الأمير سليمان في تعامله مع الغير ، وتظهر أخلاقه الحميدة في مجال التجارة أو الميدان الاقتصادي ، حيث لا يقابل دول الجوار بالمثل ، مثل قوله : (لا ينبغي أن ننهى عن خلق ونأتي بمثله) ، فهو يرفض وينكر تعويق التجارة .

وإذا صنفنا هذه الرسالة فهي من الرسائل الديوانية أما من حيث الموضوع تدخل ضمن الرسائل التجارية ، أما من حيث الحجم لم تتجاوز الصفحة فكاتبها لم يطول في الحديث ، اقتصر على معالجة القضية بتدقيق الموضوع وهو تعويق التجارة والسبب الذي دفع ملك السودان لمنع نشاط التجار المغاربة ، نظرا للعلاقات التجارية والروحية التي ربطت المنطقتين ، فالأمير سليمان الموحدي بهذه الرسالة يحتج احتجاجاً شديداً على ملك السودان يستنكر فيها العراقيل التي توضع في وجه التجار المغاربة .

وقد ختم رسالته بعبارة جميلة أخلاقية بقوله: (لا ينبغي أن ننهي عن خلق ونأتي مثله) ، فهو كأنه يقول لا أريد أن أتعامل كما تتعاملون أنتم معنا .

14. توقيع له

وقع إلى عامل له كثرت الشكاوي منه « قد كثرت فيك الأقوال ، وإغضائي عنك رجاء أن تتيقظ فتتصلح الحال ، وفي مبادرتي إلى ظهور الإنكار عليك تنبيه إلى شر الإختيار ن وعدم الإختبار ، فأحذر فإنك على شفا جرف هار [2] »

[1]- عبد الله كنون ، النبوغ المغربي في الادب، ص424-425 .
[2]- المرجع نفسه ، ص 425 .

مضمون الرسالة : هذه الرسالة من نوع رسائل التوقيعات جاءت موجزة ، رداً وجواباً من أبو ربيع سليمان الأمير إلى عاملٍ كثرت الشكاوي منه .

اتبع بهذا التوقيع منهج الفقه ، وذلك لإدراك الأمير سليمان الموحدي بخطى العامل وبكثرة الشكاوي التي أنسبت إليه ، والعلم بها حيث يتضح من هذا التوقيع أن سليمان الموحدي قد أعطى فرص لهذا العامل ولكن لم يتغير ، فحكم عليه بهذا التوقيع ، وفي أخر هذا التوقيع نجده يحذره بالنظر إلى أخطائه و الإستقامة ، فهذا التوقيع بمثابة إنذار أو تحذير من الخطاء الذي يرتكبه هذا العامل ، وقد استشهد بجزء من آية [التوبة الآية : 109] جزئها الأخير لتقوية المعنى وتأثيره في نفس المعني بالأمر، فوظفها كجزاء وعاقبة للاستهتار هذا العامل ، ففي هذا التوقيع موعظة لإحياء القلوب الميتة والضعيفة والخبيثة .

15. كتاب السلطان أبى الحسن المريني إلى الملك الناصر محمد بن قلاوون[1]

مضمون الرسالة :هي رسالة بعث بها الحسن المريني إلى الملك الناصر محمد بن قلاوون يلتمس فيها وكب الحاج المغربي ، والمقصد الأهم في هذه الرسالة هو حرصه الشديد على إيصال المصحف العزيز الذي خطه بيده إلى الحرم النبوي الشريف ، رغبة في الثواب ، وحرصاً على الفوز بحظ من أجر التلاوة فيه يوم المثاب في تلك البقاع المقدسة ، حيث تعلق موضوعها أيضا بأداء فريضة الحج والحجاج وفي ما يخص الشريعة الإسلامية .

تعد هذه الرسالة من الرسائل الديوانية امتازت بالطول حيث وصلت إلى أربع صفحات ، فنجد أن كاتبها قد أطال في تعدد اسمه ومدحه وفخره بنسبه ، ثم انتقل لمدح الملك الناصر وذلك بِعد خصاله النبيلة له ، وإعتماد في رسالته على تعدد المفردات وكثرة الألفاظ ذات المعاني المختلفة ؛ مثل قوله : (إلى السلطان الجليل الكبير الشهير العادل الفاضل الكامل الكافل الملك الناصر المجاهد المرابط المؤيد المنصور الأسعد الأصعد الأوقى .....)، والشواهد في هذه الرسالة كثيرة.

[1]- عبد الله كنون ، النبوغ المغرب في الادب ، ص 425-430 .

16. كتاب منه إلى الملك الصالح أبى الفداء إسماعيل بن محمد بن قلاوون[1]

في التعزية بوالده وأغراض أخرى

مضمون الرسالة :هي رسالة بعث بها السلطان أبى الحسن المريني إلى الملك الصالح أبى الفداء إسماعيل بن محمد بن قلاوون تعزية لوالده ، وذلك بقوله :(إلى محل وَلدِنا الذي طلع في أفق الُعلا بدراً تَمّا ، – وبيننا وبين والدكم نعم الله روحه وقدسه وبقربه مع الأبرار في عليين أنسه.....إلخ.).

حيث يخبره في هذه الرسالة عن السبب الذي شغله عن حضوره ومساندته له في مثل هذا الموقف الحزين ، وذلك لانشغاله بصرخة أهل الأندلس وسلطانها ، لأن النصارى أجمعوا على خراب أوطانها، وذلك بقوله : (فأصدرنا لكم هذه المخاطبة المتفننة الأطوال ، الجامعة بين الخبر والإستخبار ، الملبسة من العزاء والهناء ثوبي الشعار والدثار ، ومثل ذالكم المِلك رضوان الله عليه من تجل المصائب لفقدانه ، وتُحَل عُرى الإصطبار بموته و لات حِيَنُ أوانهِ ، لكن الصبر أجمل ما ارتداه ذو عقل حصين ....ومن خلفتموه فما مات ذكرهُ) .

كما احتوت هذه الرسالة على وصية أوصى بها أبى الحسن المريني الملك الصالح أبى الفداء تمثلت في (فقد ارتضاكم الله بعده لحياطة أرضه المقدسة ، وحماية زُوَّار بيته مُقَيلة أو مُعرسَّة ،) ، كما نجده هنأهم وذلك في قوله : (بما خولهم الله أجمل التهنئة وفي ذات الله الإيراد والإصدار ، وفي مرضاته سبحانه الإضمار والإظهار ، فاستقبلوا دولة ألقى العز عليها رواقَه).

ورسالته هذه احتوت على أغراض أخرى خرجت عن مجال التعزية ، حيث شملت حديثه عن المصحفين الأكرمين ، وفضل والده الملك الناصر على ما رسمه رحمه الله من عناية بهم متصلة ، ثم انتقل إلى الحديث عن الجهاد في سبيل الله ومسارعته لنجدة بلاد الأندلس إستجابة لصرختها وتلبية لنداء الجهاد ضد الكفار ، وذلك في قوله : (لما أنبأنا أن الكفار

[1]-المرجع السابق، ص430-440 .

قد جمعوا أحزابهم من كل صوب وأنه قد قصدت طوائفهم البلاد الأندلسية لمحو كلمة الإسلام منها ، ويقلصوا ظل الإيمان عنها) .

كما تحدث في هذه المقطع من الرسالة عن المجهُّدات التي قدمها لهذه البلاد من إمدادهم بالجنود والمال ؛ ووصفه الصعوبات التي واجهنهم في هذا الجهاد ، وتمسك وعزم الجنود واظهار قوتهم للعدو ، كما تحدث فيها عن مدة القتال حيث دامت ثلاثة أعوام ونصف ، ومنازلتها في البر نحو عامين ، كما تحدث أيضا عن عقد الصلح الذي رغب فيه سلطان الأندلس ، واستجابة النصارى للسلم ، فتم الصلح إلى عشر سنين .

ووصف حال أهل الأندلس بعد عقد الصلح ثم انتقل إلى حديثه عن فتح جبل طارق بفضل الله تعالى من أيادي الكفار، والحديث عن عودتهم إلى فاس لتستريح الجيوش للعودة إلى أهبة الجهاد بطاقة ونفسية مرتاحة.

وختم رسالته بالدعاء بقوله : (جعل الله ذلكم خالص لرب العباد ، مدخورا ليوم التناد ، مسطور في الأعمال الصالحة يوم المعاد ، بمنه وفضله وهو سبحانه يصل إليكم سعدا متفاخر به سُعود....ورحمة الله وبركاته .) .

وهي من الرسائل الديوانية إمتازت بطولها حيث تجاوزت عشر صفحات ، والشيء الذي ميزها عن بقية الرسائل الديوانية السابقة ، أنها شملت مجموعة من القضايا (تعزية الملك الصالح أبى الفداء بوالده ، – الحديث عن المصحفين الأكرمين – إستجابة لصرخة الأندلس وتلبية لنداء الجهاد ضد الكفار – والحديث عن فتح جبل طارق).

17. كتاب السلطان أبى سعيد المريني الأصغر إلى الملك الناصر فرج بن برقوق [1]

مضمون الرسالة : هي رسالة بعث بها أبى سعد المريني الأصغر إلى الملك الناصر فرج بن برقوق ، حيث يخبره من خلال هذه الرسالة أنه مستعد لمناصرته ومساندته على عدو الله وعدو الإسلام مادياً ومعنوياً والمجاهدة في سبيل الله ونشر العدل في العالمين وهذا ما

[1]- عبد الله كنون ، النبوغ المغربي في الأدب العربي ، ص 440 -444 .

دفعه إلى العزم على إمداده لهم بعساكره المظفرة ، وجهز لجهاتهم من أساطيله المنصورة ما يحمد في إمداده المناصرة حتى يضيق على العدو الفضاء وهذا يؤكد على وده وثنائه وحبه وإخلاصه إلى الملك الناصر فرج بن برقوق وأهل بلاده ، هذا المعنى العام الذي حمله مضمون هذه الرسالة .

وهي من الرسائل الديوانية إمتازت بطولها حيث بلغت أربع صفحات ، حيث في مطلع الرسالة قام الكاتب بالحديث مطولا عن وليه عثمان أمير المسلمين وذلك في قوله :(من عبد الله ووليه عثمان أمير المسلمين ، المجاهد في سبيل رب العالمين سلطان الإسلام والمسلمين ....) ، وتطرق إلى التعريف بنسبه وعن صفاته التي إمتاز بها ؛ جهاده في سبيل الله ، وناشر العدل في العالمين ، ناصر الإسلام ، سيف الله المسلول على أعدائه ، عماد الدنيا و الدين ، وتحدث عن فتوحاته حيث قال فاتح البلدان والأقطار .

وانتقل أيضا للحديث عن صفات ونسب أبى السعادات فرج ابن السلطان أبى سعيد بن برقوق ابن أنص ، فجاء هذا المقطع من الرسالة بمثابة تمهيداً لرسالته ، ثم دخوله في الموضوع بقوله سلام عليكم ورحمة الله وبركاته أما بعد : حيث ابتداء بالتحميد والصلاة والسلام على رسوله الكريم وآله وصحبه الكرام ، حيث عبر فيها عن دعواته المتواصلة إلى مقام الملك الناصر فرج بن برقوق ، وتأييده ووده وإخلاصه إليهم ، حيث يخبره بأنه قد علم بحركة عدو الله وعدو الإسلام ، وبسماعه الخبر أخبره بعزمه على أن يمدهم من عساكره وأساطيله لمناصرته .

كما أخبره في هذه الرسالة أنه وقع إختياره على أبى عبد الله بن أبى القاسم بن نفيس الحسني العراقي ، بشرح ما حمله ونقله ، وبإضاحه لديكم يقظته ونبله ، ثم ختم رسالته بالدعاء ؛ دعاء لهم بالسعادة والخير ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

18. بيعة صاحب مملكة بونو من أقطار السودان[1]

[1]- المرجع السابق، ص 444 -451 .

للمنصور الذهبي ، أنشأها له كاتب المنصور عبد العزيز القشتاتي

مضمون الرسالة : هي رسالة للمنصور الذهبي أنشأها له عبد العزيز القشتاتي ، حيث تحمل في مضمونها الإخبار عن بيعة صاحب مملكة بونو من أقطار السودان ،حيث شرح في هذه الرسالة الدينية القائمة على الخلافة النبوية والإمامة الحسنة العلوية لمبايعتها والانقياد إلى دعوتها المسموعة بكلمتها المجموعة على التوحيد ومحاربة التثليث ونشر الإسلام في بقاع وأقطار السودان ، ومهد بسيوفها المنتضاة الأفاق والأقطار تمهيدا أزال عن حكمه الاعتراض وأشرقت أنوار هذه الدعوة ، وقضى لها بتوارث الأرض ومن عليها إن شاء الله إلى عيسى ابن مريم .

فهي دعوة الحق ودعوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، حيث انتشرت في الأفاق والأقطار على يد إمامة علي وليها والله نصيرها ، إماماً ألقى الله له في القلوب حبا جميلا ، مولانا أمير المؤمنين وخليفة الله في الأرضيين ، ووارث الأنبياء والمرسلين ، المنصور بالله مولانا أبا العباس صلوات الله عليه وآله الخلفاء الراشدين والأيمة الطيبين الطاهرين .

فبفضل الله وتأييده لهذه الدعوة النبوية وخلافته ، فهو يرجو الإنقياد لدعوته وتقليد بيعته وما جاء به كاتبه الحكيم ؛ حيث يخبر في هذه الرسالة عن من اتبع وتقلد به أمام الجماعة أمير المؤمنين المنصور بالله، فقد انتدبه أبو العلاء إدريس .

حيث وضح من هذه الدعوة أو البيعة أن ينشر سنتها المشروعة في الأصقاع والبقاع بالسودان تقلداً يستضئ إن شاء الله بأنواره ، وإتباع الحق والإطلاع على قواعد الشرع الوثيقة التي لا يلحق عقدها الكريم فسح ولا نسخ .

وفي أخر الرسالة يعلمهم أن الذي ينحرف عن هذا المنهج وسنته، فقد تبرؤ من حول الله وقوته ومن دينه وعصمته ، وخروج عن ملة نبيهم الكريم وخسارتهم شفاعته لهم .

وهي من الرسائل الديوانية امتازت بطولها حيث تجاوزت ثمانية صفحات ، وهي رسالة تدخل ضمن رسائل البيعة حيث فصلت في هذه البيعة أو الدعوة النبوية .

19. كتاب المنصور الذهبي إلى الشيخين البدر القرافي والزين البكري[1]

مضمون الرسالة : هي رسالة بعث بها المنصور الذهبي إلى الشيخين البدر القرافي والزين البكري ، يعلمهما فيها ببعض الفتوح وتشوقه للأندلس ، حيث بداء رسالته بمقدمة طويلة تناول فيها الحديث عن مكانة كل من بدر الدين القرافي وأبى عبد الله زين العابدين الشهير البكري، حيث إفتخر بمقامهما ودعاء لهما ببقاء أرواحهما تتعطر برياحين الأنس في حضرة القدس، ثم انتقل إلى الحديث عن الفتح الذي حالفهم بفضل الله وتقواه وبفضل إيمانهم القوى بالله ورسوله ، ثم يرجع إلى الحديث عن الشيخين ليعد لهما فضل كتابهما الذي صدحت على افنان البلاغة سواجعه ، وعذبت وتألفت مقاطعه .

ثم يقف في هذه الرسالة بعد تبيانه مكانة كتابهما ليعلمهما بأن عدو الدين طاغية قشتالة العدو الأكبر للإسلام قد إنهزم وأحرز الله تعالى فخر هذا الفتح العظيم ، وبهذه الفرحة والبشرى السعيدة أراد المنصور الذهبي مشاركة هذه الفرحة مع الشيخين ؛ راجياً منهم دعواتهم من الحرمين الشريفين ، داعين الله لهم أن يؤيدهم الله على عدو الدين بفضله ، ويسهل عليهم معونته أسباب فتح الأندلس .

فإذا صنفنا هذه الرسالة فهي من الرسائل الديوانية إمتازت بطولها حيث تجاوزت أربع صفحات ، أما من حيث المضمون فهي رسالة تعبر عن بعض الفتوح والشوق للأندلس .

20. توقيعه على كتاب جؤذر

لما انتصر جؤذر مولى المنصور الذهبي على إسحاق سُكيَة صاحب السودان فرَّ هذا أمامه واعتصم ببلده كَاُغو فحاصره جؤذر فطلب الصلح على خراج عظيم يؤديه للمنصور كلَّ سنة فكتب جؤذر بذلك للمنصور يستأمِرُه فيه فغضب المنصور ووقع على كتاب جؤذر « أتُمِدُّونني بمال فما آتاني الله خير مما آتاكم ، الآية. » ثم أرسل القائد محمودا باشا وعزَل به جؤذرا وكان الفتح على يده .[2]

[1]- عبد الله كنون ، النبوغ المغرب في الادب ، ص 451 – 456 .
[2]- المرجع نفسه ، ص 456 .

مضمون الرسالة : هي من نوع رسائل التوقيعات ؛ جاءت جواباً ورداً على كتاب جؤذر ، وهو جواب مختصر جاء آية قرآنية [سورة النمل الآية :36] .

فمقصودها في القرآن الكريم جاء كالتالي : متعلقة بقصة سليمان والمرآة التي أعطته الهدية.

وفي تفسير محمد بن صالح العثيمين : أصل الآية« فلما جاء سليمان قال : أَتُمِدُّوَنَنِ بِمَالٍ فماءاتنِ الله خير مما ءاتكم بل أنتم بهديتكم تفرحون »[النمل الآية:36] .

قال المفسر [فلما جاء الرسول بالهدية ومعه أتباعه [سُلَيْمَانَ] ، وجاء بمعنى : آتى [قال آتُمِدُّوَنَنِ بِمَالٍ] يدل على أن المخاطب جماعة ن والإستفهام في قوله :[آتُمِدُّوَنَنِ] – للإنكار والتعجب ، يعني كيف تمدونني بمال وأنا عندي من المال ما ليس عندكم ؛ ولهذا قال المفسر [فماءاتن الله] من النبوة والملك ، [خير مماءاتكم] من الدنيا]، وكذلك من المال ؛ لأن عند سليمان المال ما ليس عند هذه المرأة ، لأن الله تعالى أعطاه ملكا لا ينبغي لأحد من بعده ، فالاستفهام في [آتمدونن] لتوبيخ والتعجب .[1]

هذه الآية الكريمة تشير إلى أن سليمان عليه السلام ، لم يهتم بما جاءوا به وأعرض عنهم في قوله : [أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ ، فَمَاءَاتَنِ الله خير مِمَاءَاتَكُمْ] .

فإذا رجعنا إلى مقصود ومضمون هذه الرسالة التي وقعها المنصور الذهبي ، فهي تحمل نفس التفسير القرآني لهذه الآية ، فقد ابتداء رسالته بإستفهام، وهو متعمد لذلك فجاء الغرض نفسه وهو التوبيخ والتعجب من أمر جؤذرا ، حيث يقصد به كيف تمدونني بمال ؛ فما أتاني الله خير مما ءاتكم؟ !فيتضح هنا أنه ليس بحاجة إلى مالهم أو أي شيء يأتي من عندهم ؛ فبقوله [فما أتاني الله خير مما أتاكم] دليل على تعدده لنعم الله التي أنعمها عليه ، ودليل على قناعته بما لديه .

وهذا الرد أو الجواب يمكن أن يكون على سبيل الإفتخار ، ولكن بالنسبة للمنصور الذهبي لأنها الطريقة الأنسب لرد على العدو ، وليس في ما يخص تفسيرها في القرآن الكريم ، «

[1]- محمد بن صالح العثيمين ، تفسير القرآن الكريم سورة النمل ، مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية ، المملكة العربية السعودية – القصيم – عنيز ، ط1 ، 1436ه ، ص 194 .

وكذلك يجوز الخيلاء في الحرب ، مع أن الخيلاء محرمة ومن الكبائر لكن في الحرب لإغاظة العدو لا باس بها [1] »، والخيلاء هي التكبر والتعجب ؛ فقد حرمها الله على المؤمنين وهي من الكبائر .

فاقتباسه هذه الآية القرآنية دليل على تشبعه بالتراث الإسلامي، هذا ما أمكننا فهمه من هذا التوقيع حتى نقرب الصورة إلى القارئ من خلال تفسيرنا للمضمون الذي احتواه هذا التوقيع، رغم وجازته إلا أن له أبعاد عميقة .

21. كتاب للسلطان مولاي الحسن لعلوي[2]

مضمون الرسالة : هي رسالة بعث بها السلطان مولاي الحسن العلوي إلى قضاة مراكش من إنشاء الكاتب إدريس بن محمد العمروي ؛ وهي رسالة تحث على محاربة الفساد الذي ساد بين القضاة والعلماء والمتمثل في الرشوة وعدم العدل وشهادة الزور ، وغياب الضمير وأكل حقوق الناس بدون وجه حق ؛ والتعجب من أمر هؤلاء القضاة وحيرته في إرتفاع أجور القضاة بهذه البقاع ، وإلتهائهم بشهوات الدنيا ونسيانهم الآخرة ، وعدم إحترامهم للشروط الموضوعة في ما يخص القانون القضائي ، وتجاوزهم للحدود ، كل هذا جراء طمعهم المستمر .

وينتقل في رسالته هذه إلى ملامة أهل العلم من العلماء بقوله : (فإذا كان أهل العلم منهم هذه الأفعال ، فأي شيء تركوه للجهال)، فهو يظن ويعتقد بأن أهل العلم مكانتهم عالية ، فمن لا يحترم هذه المكانة فلا يحق له أن يكون فيها ، فهو يأمرهم بترك كل خلق سيء (أكل المال بالباطل والرشوة وغيرها)، حيث يدعوهم بالإقتداء بمن تقدم من قضاة هذه الحضرة المراكشية ، كالفقيه السيد محمد عاشور والفقيه السيد الطالب بن حمدون لما امتازوا به من عفاف وصيانة وخرجوا منها بيض الصحاف حمر الوجوه .

[1]- المرجع السابق ، ص 195 .
[2]- عبد الله كنون ن النبوغ المغربي في الأدب العربي ، ص456 – 459 .

هذه الرسالة تحمل في مضمونها عتاباً وملامة وتحذيراً لهؤلاء القضاة والعلماء ، حيث تعد هذه الرسالة من الرسائل الديوانية إمتازت بطولها الذي بلغ صفحتين ونصف .

22. توقيعات له

كان رحمه الله كما يحكى عن المنصور الموحدي حسن التوقيع ، فمما وقع به على كتاب قوم بالغوا في الشكوى إليه بعبد الله بن موسى وهو ممن أحسن إليه أيام كونه بسوس قبل ولايته« لَا يَسْتَوِي مَن أنفقَ مِنكُم مِن قَبْلِ الفَتْحِ وقَاتَل »[1]

مضمون الرسالة: هذه الرسالة كغيرها من رسائل التوقيعات جاءت رداً، بآية قرآنية [سورة الحديد الآية:10]، فإذا أردنا تفسير مضمونها، فأول شيء نقوم به تفسير الآية تفسيراً قرآنياً: جاء في تفسير القرآن الكريم لفضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين أن دين الإسلام دين العدل في العمل والجزء

وأصل الآية قوله تعالى { لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وَقَتَلَ أولئك أعظم دَرَجَةً من الذين أنفقوا من بعد وقَتَلُوا } [سورة الحديد:10].

أي :لا يكونوا سواء ، والمراد بالفتح هنا صلح الحديبية الذي جرى بين النبي صلى الله عليه وسلم ، وبين قريش وذلك في ذي العقدة من عام ستة من الهجرة ، وسمى فتحاً لأنه صار فيه توسيع أيضا للمشركين ، واختلط الناس بعضهم ببعض حتى يسر الله عز وجل – أن نقضت قريش العهد ، فكان من بعد ذلك الفتح الأعظم ، فتح مكة في السنة الثامنة من الهجرة في رمضان .[2]

هذه الآية يراد منها الصلح (صلح الحديبية)، الذي جرى بين النبي صلي الله عليه وسلم وبين قريش ، والعهد الذي أنقضته قريش .

[1]- المرجع السابق ، ص 459.

[2]- محمد بن صالح العثيمين ، تفسير القرآن الكريم (الحجرات ،ق ، الذاريات ، الطور ، النجم ، القمر، الرحمن ، الواقعة ، الحديد) ، طبع بإشراف مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية ، دار الثريا للنشر والتوزيع ، المملكة العربية السعودية- عنيز ، سلسلة مؤلفات فضيلة الشيخ 1 ، ط1 ، 1425ه -2004م ،ص 384 .

وإذا رجعنا إلى مضمون ومقصود هذه الرسالة ، فنجد أن المنصور الموحدي بإختياره هذه الآية كرد أو جواب على الشكوى كان إختياره مقصود ، وذلك لإتباع سنة النبي صلى الله عليه وسلم ، مما دفعه لإبرام اتفاقية صلح بين القوم وعبد الله بن موسى ، وإعطاء عبد الله بن موسى فرصة أخرى لتعايش مع هؤلاء القوم في سلام، إلا من نقض العهد ، فهو بذلك يرضي الطرفين .

فإذا صنفنا هذه الرسالة فهي من رسائل التوقيعات، إضافة إلى أنه بمثابة تعهد إن صح القول.

_ وكتب إليه الطلبة يستأذنونه في إقامة نزهتهم قبل الإبان وهو بفأس عسى أن يحضرها فوقع لهم « حتى إذا أخذَتِ الأرْضُ زُخرُفَهَا وأزَّيَّنَتْ وظَنَّ أَهلهُا أنهم قَادِرُون علَيْهَا أَتاهَا أَمْرُنَا » . [1]

مضمون الرسالة: وهي من رسائل التوقيعات جاءت رد وجواب من مولاي الحسن العلوي على رسالة طلبته ، جاء هذا التوقيع أية قرآنية مأخوذة من الجزء الأوسط من [سورة يونس الآية :24] .

وتفسيرها على النحو التالي :

قوله تعالى :{ حتى إذا أحذت الأرض زُخْرُفَهَا وأزَّيَّنت } أي : تزخرفت في منظرها ، واكتسبت في زينتها ، فصارت بهجة للناظرين ونزهة للمتفرجين وأية للمتبصرين فصرت ترى لها منظراً عجيبا مابين أخضر ، وأصفر وأبيض وغيره «وظَنَّ أهلُها أنْهُمْ قَادِرُون عَلَيْهِا » أي: حصل معهم طمع بأن ذلك سيستمر ويدوم ، لوقوف إرادتهم عنده وإنتهاء مطالبهم فيه ، فبينما هم في تلك الحالة « أتَهَا أمرنا ليلا أو نهاراً » أي: كأنها ما كانت ، فهذه حالة الدنيا .[2]

[1]- عبد الله كنون ، النبوغ المغربي في الأدب العربي ، ص 459 .

[2]- عبد الرحمن بن ناصر السعدي ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، دار السلام لنشر والتوزيع ،المملكة السعودية ، ط2 ، 1422ه-2002م ، ص 415 .

نجد أن مولاي الحسن العلوي بإختياره هذه الآية تتناسب وموضوعه وحالته النفسية ، فهي تصور وتعبر عن حال الدنيا الفانية ، فإن لذاتها وشهواتها هي مجرد فترة زهو يعيشها الإنسان فبرحيل وابتعاد الإنسان عنها تزول تلك الشهوات واللذات فهي بهجة للناظرين ونزاهة للمتفرجين .

فيلاحظ من خلال هذا التوقيع أن الحسن العلوي زاهد لهذه الدنيا فهذا ما دفعه لإختيار هذه الآية لتعبر عن حالته الشعورية والنفسية الزاهدة للحياة والدنيا .

_ ورفع إليه أهل فأس اعتذارهم عما كان بها من الفتنة قائلين أن ذلك من فعل السفهاء ، فوقع« السفيه إذا لم ينه فهو مأمور » [1] .

مضمون الرسالة : هي من رسائل التوقيعات جاء جواب ورد من السلطان مولاي الحسن العلوي على رسالة أهل فأس الإعتذارية ، حيث جاء هذا التوقيع أو الرد عبارة عن مثل سائر يحمل في مضمونه نصيحة ؛ وكأنه يأمرهم بأن ينهوا سفيههم ، فإذا لم يفعلوا فهو عبداً مأمور طلب منه ذلك والذي دفع به لفعل هذا عدم تطبيق قانون صارم عليه من طرف كبار الدولة ، لأن الشخص الجاهل أو السفيه إذا لم ينه يتمادى في فعلته ، فجاء هذا التوقيع موجز ، فخير الكلام ما قل ودل .

_ وكتب إليه بعض مشائخ القبائل وقد أوقع بهم «أتهلكنا بما فعل السفهاء منا » فوقع « وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم [2] »

مضمون الرسالة : وهي من رسائل التوقيعات جاءت رداً وجواباً وتوقيعاً على توقيع أخر يحمل رأى وأقوال مشائخ القبائل .

فجاء توقيع مولاي الحسن العلوي أية قرآنية من سورة إبراهيم [الآية :45]؛ حتى يتبين مقصود الحسن العلوي من إختيارها كرد وجواب على مشائخ القبائل ؛ فتفسيرها قرآنيا تحمل المضمون الآتي :

[1]- عبد الله كنون ، النبوغ المغربي في الأدب العربي ، ص459 .
[2]- المرجع السابق ، ص 460 .

قوله تعالى : « وَسَكَنتُمْ في مَسَاكِنِ الذين ظَلَمُوْا أَنْفُسَهُمْ وَتَبينَ لَكُمْ كَيْفَ فعلنا بهم وضَرَبَّنَا لكُمْ الأمثال » [سورة إبراهيم الآية :45] .

[وَسَكَنتُمْ في مَسَاكِنِ الذين ظلموا .....كيف فعلها بهم] ؛ وهي نوع من أنواع العقوبات ؟ وكيف أجل الله بهم العقوبات ، حين كذبوا بالآيات البينات وضربا لكم الأمثال الواضحة التي لا تدع أدنى شك في القلب إلا أزالته ، فلم تنفع فيكم تلك الآيات بل أعرضتم .[1]

وظف السلطان الحسن العلوي هذه الآية كرد وجواب لأنها تتناسب مع مضمون هذا التوقيع ، حيث يعبر عن غضبه الشديد على مشائخ القبائل ، حيث اتخذا قرارا حاسماً لمعاقبتهم على فعلتهم ، فلا تنفعهم شفاعة ولا ندامة على فعلتهم تلك .

[1]- عبد الرحمن بن ناصر السعدي ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، ص495 .

الفصل الثاني

الخصائص الفنية للرسائل السلطانية

دراسة تطبيقية رسالة أبى حفص

الهنتاتي إلى عبد المؤمن بالفتح عينة

النموذج : رسالة أبى حفص الهنتاتي إلى عبد المؤمن بالفتح .

المبحث الأول : الأسلوب والبناء في رسالة أبى حفص إلى عبد المؤمن[1] بالفتح .

_ جاء بناء هذه الرسالة مختلف عن بقية الرسائل الأخرى التي مرِرنا بها حيث نجد أن كاتب هذه الرسالة اعتمد منهجية الدخول في الموضوع مباشرة ؛ فالرسالة لم تبدأ بمقدمات أو بسملة ، ولم تختم رسالته أيضا بسلام ؛ وهذا إن دل فيدل على أن كاتبها يريد التحرر من قيود المنهج الشكلي الذي عرفه معظم كتاب الرسائل الديوانية في بناء رسائلهم على البسملة والتحميد والصلاة على النبي الكريم و آله وصحبه .

_ أما في ما يخص أسلوب الرسالة نجد أن كاتبها قد اعتمد أسلوبا أدبيا ؛ وتظهر سمات هذا الأسلوب في أناقة الأسلوب ودقة الألفاظ ، واستخدامه المحسنات البلاغية المتمثلة في علم البديع وعلم البيان ؛ بالأخص علم البديع الذي وظفه بكثرة في رسالته مثل السجع والجناس

إضافة إلى هذا نجده اعتمد على الأسلوب الخبري؛ في الإخبار عن مجرى حرب ماسة[2] والنصر الذي حققوه المسلمين بفضل الله تعالى ، وتظهر شخصية الكاتب في هذه الرسالة واضحة ، وذلك من خلال قوله: (وتقدمت بشرتنا به جملة –) ؛ شخصية قوية لا تهاب العدو الطاغية.

_ اللغة تعد من العناصر الأساسية في بناء النصوص الأدبية ؛ نجد أن لغة الكاتب في رسالته تميل إلى الفصاحة والوضوح ، لا تحتاج إلى تفسير، يستطيع القارئ فهمها، وهذا لا

---

[1]- عبد المؤمن :هو عبد المؤمن بن علي بن مروان بن نصر بن عامر بن الأمير بن موسى بن عون الله بن يحيي بن ورزايع بن صنطور بن نذور بن مطماط بن هود بن مادعيس بن بربر بن قيس بن عيلان بن عيلان بن مضر بن نزار بن عدنان ، مسقط راسه (تاجرا) يتصل نسبه إلى قبيلة (كومية)التي تعتبر احدى بطون بني فاتن الذين يجتمعون بدورهم مع قبيلة زناته من سلسلة البربر البتر ، يقول عبد الواحد المراكشي موضحا تارخ ميلاده« كان مولده في آخر سنة 487. في أيام يوسف بن تاشفين وكانت وفاته في شهر جمادي الآخرة سنة 558 » ،نشأ عبد المؤمن محبا للقراءة والدرس ألحقه والده بكتاب القرية (تاجرا) حيث تعلم القراءة والكتابة حفظ القرآن تعلم الصلاة والصوم والزكاة وألم بالسنة النبوية الشريفة ، وهكذا اقبل على طلب العلم اقبالا شديدا، فمنهم من يجعله متصلا بالرسول صلى الله عليه وسلم اتصالا وثيقا فيربطه بالنبي بن مضر بن نزار ثم ينسبه إلى آل البيت عن طريق الأدارسة كانت لعبد المؤمن جهود ونشطات سياسية وحربية خلافته بعد ابن ترمرت ،استلاءه على دولة المرابطين ، فتح تلمسان ووهران سنة 535ه ، فتح فاس ، الاستيلاء على مراكش وغيرها من المجهودات سواء داخليه اوخارجية مساندة بلاد الأندلس ، وبلاد المغربين الأوسط والأدنى .(ينظربتصرف كتاب عبد المؤمن بن علي مؤسس دولة الموحدين ، صالح بن قربة ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1991، ص5،ص6،ص7،ص8،ص9،ص23،ص26،ص28-30-34-39).

[2]- ماسة: مدينة في المغرب ،إحدى الجماعات القروية التابعة لإقليم ستوكة آيت باها بجهة سوس ، يحدها غربا المحيط الاطلسي وجنوبا مدينة أكادير وشمالا مدينة تزنيت .المرجع wiki https://ar.m.wikipedia org.

يعني أن ألفاظها ركيكة بل العكس هي ألفاظ جزلة ومنتقاة بإحكام ، لتنسجم وتتناسق مع موضوعه .

وقد تعددت الظواهر اللغوية في رسالة أبى حفص الهنتاتي ولعل أهمها :

1- الحقل الديني:

هي ميزة تضفي على الرسالة مسحة دينية تعكس شخصية الكاتب المتدينة ، المتقربة إلى الله وذلك من خلال ما وظفه الكاتب من كلمات وعبارات سواء من القرآن أو السنة ، حيث نلاحظ أنه وظف ألفاظ دينية في رسالته نذكر منها على سبيل المثال :

(وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم – بنفوس المؤمنين – الضالون – ليزدادوا إثما – آنا الليل – وأخذهم الله بكفرهم وفسادهم – يختلق على الله إفكا وزورا – بأمر الله – يفتح الله .....)

2- الإقتباس والتضمين :

ظاهرة الإقتباس أو ما أصبح يطلق عليها بالتضمين يعتمدها الكاتب ؛ وذلك من خلال تضمين قول من القرآن الكريم ، أو تضمين أبيات شعرية في نصه أو عمله الأدبي ، لتقوية عمله وكثرة الشواهد و البراهين فيه .

وفي رسالة أبى حفص الهنتاتي نجد أن الكاتب أبى جعفر بن عطية قد اقتبس من القران الكريم ؛ في قوله (وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم) من سورة آل عمران [الآية :126] ؛ وهو إقتباس جزئي فقد إقتبس الجزء الأخير من الآية .

وقوله: (عدوانا وظلما) [سورة النساء الآية:30] ؛ وهنا أيضا إقتبس الجزء الأخير من الآية .

وقوله: (ليزدادوا إثما) [سورة آل عمران الآية :178] إقتباس جزئي اقتبس الجزء الأخير من الآية .

ومن الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ينقل لنا حال المرائى للناس فيقول:« إني أخاف عليكم من الشرك الأصغر : قال الرياء [1] »؛ إقتبس الرياء من الحديث .

_ فهو بذلك إقتبس من الآيات القرآنية ما يخدم رسالته وموضوعه ، من كلمات وعبارات ، فقد تأثر الكاتب بهذه الآيات القرآنية من أجل تقوية فكرته التي قصدها والمتمثلة في أن الله عز وجل أيدهم بنصره وكان لهم عونا ونصيرا.

وفي ما يخص التضمين نجد أيضا تضمينه في رسالته بيت شعري من قصيدة فتح عمورية لأبى تمام الطائي ، البيت :

فتحُ تفتَّحُ أبوابُ السماء له وتبرز الأرض في أثوابها القُشُب

لجأ الكاتب لتضمين هذا البيت الشعري حتى يكون كلامه أكثر إقناعاً وتأثيراً ، على سامع وقارئ رسالته ، لما يحمله هذا البيت من معنى كبير لهذا الفتح العظيم ، مما أدى هذا التضمين وظيفة التأثير والتأثر على الكاتب بالدرجة الأولى والقارئ بالدرجة الثانية ، والكاتب بتوظيفه هذا الإقتباس غايته الإستشهاد بهذا البيت الشعري الذي يحمل نفس الفكرة التي يناقشها في رسالته ؛ فكرة االفتح والانتصار العظيم الذي حققوه المسلمون.

وتوظيفه أيضا لبعض الأمثال لكن ليست مباشرة كقوله :(وملا دلاء الأمل إلى عقد الكرب) ؛ الكرب هو حبل يصل مابين الرشاء والدلو فإذا وصل الماء إلى عقده فذلك غاية الامتلاء .[2] وقوله (تساقطوا على وجوههم تساقط الذباب) مثلا غير مباشر مأخوذ من المثل القائل (يتساقطون تساقط الذباب على الشرب).

3- التكرار:

يعد التكرار ظاهرة طبيعية، فمنه تكرار كلمة، أو تكرار جملة أو عبارة، والتكرار له غايات كثيرة فهناك تكرار يريد به صاحبه التأكيد، تأكيد اللفظ، أو العكس غير التوكيد، ومن أمثلته في هذه الرسالة :

[1]- عادل أبو المعاطى ، الأحاديث القدسية لفضيلة الشيخ محمد متولي الشعراوي ، دار الروضة للنشر والتوزيع ، ط1، 1422هـ 2002م، ص141.

[2] - عبد الله كنون ، النبوغ المغربي في الأدب ، ص418.

تكرار كلمة (فَتْحُ – فتح – تفتح – يفتح)، وتكرار كلمة (النفوس) مرتين، وكلمة (السماء) مرتين، وتكرار كلمة (الأرض) مرتين، وتكرار كلمة (الأعوام) مرتين، وكلمة (صفحات) مرتين، وتكرار كلمة (الترامي) مرتين، وتكرار كلمة (بأمرالله) مرتين، وكلمة (أتته) مرتين.

وظف الكاتب هذه التكرارات المنتظمة ليس لغرض التوكيد ، وإنما لتأثير في نفسية القارئ، لما أضافته هذه الكلمات من انسجام وتناسق وتناغم داخل هذه الرسالة ، وكل كلمة أدت وظيفتها المنفردة داخل الرسالة من حيث المعنى .

حيث تساهم هذه التكرارات المرتبطة بالمعنى والدلالة في عمليتي التفكيك والبناء، وذلك لقدرتها على الربط اللفظي، وعلاقة ذلك بالمضمون.

المبحث الثاني : الصور البيانية في رسالة أبى حفص الهنتاتي :

أخذت الصور البلاغية مكانة مهمة في الدراسات الأدبية والنقدية واللغوية ؛ فهي تعد جوهر الأدب ، وقد توسعت مفاهيمها وتنوعت آلياتها الفنية والجمالية مع تطور العلوم والمعارف ، حيث تشمل الصورة البلاغية كل من الاستعارة والتشبيه والكناية والرمز ....، وذلك بتحويل ما هو مألوف ومستعمل من الكلام إلى لغة مجازية وإستعارية وبلاغية خارقة للعادة ، وهذا ما صادفناه في رسالة أبى حفص الهنتاتي إلى عبد المؤمن ، لتوظيفه للصورة البلاغية بأنواعها .

1- الإستعارة :

قد اختلفت الآراء حول تعريف الاستعارة فقد عرفها الجاحظ بقوله :« الإستعارة تسمية الشيء بإسم غيره إذا قام مقام » [1] ، وعرفها السكاكي بقوله :« الإستعارة أن يذكر أحد طرفي التشبيه وتريد به الطرف الأخر مدعيا دخول المشبه في جنس المشبه به دالا على ذلك بإثباتك للمشبه ما يخص المشبه به[2] » .

إذا الإستعارة تسمية شيء بشيء يشابهه بشرط حذف أحد طرفي المشابهة إما المشبه أو المشبه به ، والإستعارة نوعين مكنية وتصريحيه .

ومن أمثلة الإستعارة في رسالة أبى حفص الهنتاتي نجد :

. فتح تفتح أبواب السماء له

نوعها : إستعارة مكنية

شرحها : حيث شبه السماء بالبيت وحذف المشبه به (البيت) ، وترك شيء من لوازمه (أبواب) على سبيل الإستعارة المكنية .

. وتبرز الأرض في أثوابها القشب

نوعها : إستعارة مكنية

[1]-عبد العزيز عتيق ، علم البيان ، دار النهضة العربية لطباعة والنشر ، بيروت ، 1405ه –1985م ،ص 173 .
[2] - المرجع نفسه ،ص 174 .

شرحها : شبه الكاتب الأرض بالإنسان الذي يرتدي ثوب جديدا ونظيفا وحذف المشبه به (الإنسان)، وترك شيء من لوازمه (أثوابها) على سبيل الإستعارة المكنية .

. نبه للأماني النائمة

نوعها : استعارة مكنية

شرحها : شبه الأماني بالإنسان لأن فعل النوم يقوم به الإنسان وليس الأماني ، وحذف المشبه به الإنسان وترك شيء من لوازمه (النائمة) ، على سبيل الإستعارة المكنية ، وذلك لتشخيص الشيء المعنوي وتجسيده .

. يتناولون قتلهم طعنا وضربا

نوعها : استعارة مكنية

شرحها : حيث شبه قتلهم بالطعام أو الدواء وحذف المشبه به (الطعام و الدواء) ، وترك شيء من لوازمه (يتناولون) ، لأن الطعام أو الدواء هو الذي نتناوله ، على سبيل الإستعاره المكنية .

. أذاقته موتا زعافا

نوعها: استعارة مكنية

شرحها: شبه الموت بالطعام وحذف المشبه به (الطعام) ، وترك شيء من لوازمه (أذاقته)، على سبيل الإستعارة المكنية .

*وتكمل وظيفة الإستعارات في تشخيص وتجسيد في المعنويات مثل قوله :(نبه للأماني النائمة) فهنا تشخيص شيء معنوي ، وبث الحركة والحياة والنطق في الجماد .

2- التشبيه :

التشبيه أسلوب من الأساليب البيانية وهو ميدان واسع .

التشبيه لغة: هو التمثيل يقال هذا مثل هذا وشبهه[1]

[1]- عبد العزيز عتيق ، علم البيان ، ص61 .

والتشبيه في اصطلاح البلاغيين له أكثر من تعريف ، فنجد الخطيب القزويني بقوله : «هو الدلالة على مشاركة أمر لأمر في معنى[1] » ، ويعرفه التنوخي بقوله :« التشبيه : هو الإخبار بالشبه وهو اشتراك الشيئين في صفة أو أكثر ولا يستوعب جميع الصفات [2] » .

إذا التشبيه يقوم على طرفين هما المشبه والمشبه به ، يؤديان نفس المعنى أو اشتراكهما في صفة أو أكثر ، والذي يهمنا هنا التشبيهات الموجودة في رسالة أبى حفص الهنتاتي .

ومن أمثلة التشبيه في رسالة أبى حفص الهنتاتي نجد :

1- فَتْحُ بهر الأنوار إشراقا [تشبيه بليغ]

2- تساقطوا على وجوههم تساقط الذباب [تشبيه تمثيلي]

3- في جري ذلك الدم جري الأبحُر [تشبيه تمثيلي]

*وتكمل وظيفة التشبيه في تقريب المعنى وتوضيحه ، وإضفاء الجمال على المعنى، وبعث الإنفعال على القارئ ، والمبالغة في التعبير مثل قوله:(جري ذلك الدم جري الأبحر) وكما تظهر على تمثيل المعاني والتعبير عنها في صورة رائعة خلابة مع سمو الخيال فيها.

3-الكناية :

هي أسلوب من أساليب البيان تمتاز بالبلاغة ؛ حيث أأن في الكناية التعبير عن المعنى يكون تلميحا لا تصريحا وإفصاحا إذا دعت الضرورة ، والكناية عند الجاحظ :« هو التعبير عن المعنى تلميحا لا تصريحا وإفصاحا كلما اقتضى الحال لذلك [3] » ، فأسلوب الكناية يتجنب التصريح ، ويفهم من خلال التلميحات الموجودة في صياغة الجملة أو العبارة ....إلخ .

ومن أمثلة الكنايات الموجودة في هذه الرسالة نجد :

. لبسوا الناموس أثوابا

[1]- المرجع السابق، ص 62 .
[2]- المرجع السابق، ص 62 .
[3]- المرجع السابق، ص 204 .

نوعها : كناية عن صفه صفة الكفر .

. وتدرعوا الرياءَ جلبابا

نوعها : كناية عن صفه ، صفة الشرك ، وهذا أمر معنوي حيث تدخلت فيه الكناية فجسمته في صورة شيء محسوس وملموس (تدرعوا – جلبابا) .

. حتى إنبسطت مُراقات الدماء

نوعها : كناية عن موصوف الموت (كثرة القتلى).

. حكَت حمرتها على زرقته ؛ كناية عن كثرة سفك الدماء في وادي ماسة .

*والكناية كالإستعارة من حيث تجسيم المعاني وإخراجها في صورة محسوسة تضج بالحياة والحركة ، وتبهر القارئ بجمالها الفني ، كما أن وظيفة الكناية تكمل في التحسين والتقبيح ، والشرح والتوضيح ، والمبالغة ؛ والتقبيح مثل قوله : لبسوا الناموس أثوابا فيها نوع من التقبيح لهؤلاء الأعداء .

4-النظام التصويري:

لقد أحصينا عددا ليس بالكثير من الألفاظ اللغوية ذات أبعاد ودلالات في هذه الرسالة ، فنلاحظ أن كاتب هذه الرسالة بتوظيفه لهذه الألفاظ قد أضاف نوع من الغموض والجمالية في رسالته ، وذلك لجعل القارئ يقف موقف السائل ؛ ما المراد من وراء هذه الألفاظ اللغوية بالإضافة إلى وضع تخيلات كثيرة لفك شفرة هذه الألفاظ اللغوية ، وهي كالتالي :

"الناموس " ولها عدة دلالات:

- قد ترمز لفظة الناموس إلى بيت الراهب .
- وقد ترمز أيضا إلى الرجوع إلى عبودية الناموس (بالنسبة لليهود).
- وقد ترمز إلى أصلها البعوض .
- وقد ترمز أيضا إلى القانون أو الشريعة.

" الهنديات " لها دلالات عديدة:

- قد ترمز إلى طول شعر المرأة الهندية؛ والمقصود منها هناك علاقة بين طول الشعر وطول القتال.
- أو قد ترمز الهنديات بما أن الهند كأرض تحمل رمزية الموت والدماء
- وقد ترمز إلى تزينهن بفساتين حمراء اللون في ليلة الزفاف كإشارة إلى بدء حياة جديدة .
- "حمرة " اللون الأحمر رمز للفرح.
- وهناك رموز طبيعية منها: (السماء – الأرض – الماء – الليل – الأبحر – الوادي)؛ هذه الرموز الطبيعية وظفها الكاتب في رسالته حتى يكون كل شيء في هذا الكون قد شهد لنصرهم.

فهذه الألفاظ اللغوية الدلالية أدت وظيفتها كباقي الصور البيانية الأخرى في ترصيع وتجميل وإبهار الرسالة وتصوير الأبعاد الدلالية التي أراد الكاتب التعبير عنها بصورة يتخللها نوع من الغموض والتلميح .

- وفي خلاصة القول عن الصور البيانية وبلاغتها وجمالياتها في هذه الرسالة أنها أضفت ترصيع وتجميل ووضوح في معانيها، وسمو الخيال فيها إضافة إلى تجسيم وتجسيد وتشخيص المعاني وإخراجها في صورة محسوسة تضج بالحياة والحركة، تبهر القارئ بجمالها الفني.

المبحث الثالث : المحسنات البديعية في رسالة أبى حفص الهنتاتي

المحسنات البديعية تشمل كل الوسائل التي يوظفها الأديب في عمله الأدبي ، حيث تظهر مشاعره وعواطفه وقوة تأثيره على النفس ، ويكمل جمال هذه المحسنات البديعية إذا وظفها صاحبها بقلة وبطريقة غير مكلفة داخل النص ، أما إذا بالغ في إستخدامها فإنها تظهر ضعف الأسلوب وتقصير الأديب ، ويطلق على المحسنات البديعية أيضا الزينة اللفظية أو الزخرف البديعي ، ويدخل تحت المحسنات البديعية عدة أللون أو أنواع منها السجع والجناس والطباق والمقابلة .....

وهذا ما سنتطرق إليه في هذه الرسالة ؛ بإستخراج ما احتوته من المحسنات البديعية .

1- السجع :

هو توافق الفاصلتين من النثر على حرف واحد وهذا ما ذهب إليه السكاكي في قوله :« السجع في النثر كالقافية في الشعر » .[1] أي يجعل السجع فواصل مقاطع الكلام ذات جرس عذب مثل جرس أو إيقاع القافية .

ومن أمثلة السجع في رسالة أبى حفص الهنتاتي :

حيث نجد أنه اعتمد السجع من البداية إلى النهاية في رسالته (فتح بهر الأنوار إشراقا وأحدق بنفوس المؤمنين إحداقاً ، ونبه للأماني النائمة جفونا وأحداقاً ، واستغرق غاية الشكر إستغراقاً ، فلا تطيقُ الألسن لكنه وصفه إدراكاً ولا لحاقاً ،) ، (جمع أشتات الطلب والأرب ، وتقلب في النعم أكرم منقلب ، وملأ دلاء الأمل إلى عَقْدِ الكرب ،)، (كان أولائك الضالون قد بطروا عدوانا وظلما ، واقتطعوا الكفر معنى واسما ، وأملى الله تعالى لهم ليزدادوا إثما،) ، (وكان مقدمهم الشقِي قد استمال النفوس بخزعبالاته ، واستهوى النفوس بمهولاته ، ونصب له الشيطان من حبالاته ،) ، (فأتته المخاطبات من بُعْدٍ ومن كثب ، ونسلت إليه الرسل من كل حدب ، واعتقدته الخواطر أعجب عجب ،) ، (وكان الذي قادهم إلى ذالك ،

[1]- عبد العزيز عتيق، علم البديع، دار النهضة العربية، بيروت ـ لبنان، د ط، ص 115.

وأوردهم تلك المهالك ،) ، (وصول من كان بتلك السواحل ممن ارتسم برسم الإنقطاع عن الناس فيها سلف من الأعوام ، واشتغل على زعمه بالقيام والصيام آنا الليل والأيام ،) ، (لبسوا الناموس أثواباً ، وتدرَّعوا الرياء جلبابا ، فلم يفتح الله تعالى لهم للتوفيق بابا ،) ، (فصرع بحمد الله تعالى لحينه ، وبادرت إليه بوادر منونه ، وأتته وأفدِاتُ الخطايا عن يساره ويمينه ،) ، (فلما رأوْا هيئة اضطجاعِه ، وما خطته الأسنة في أعضائه وأضلاعِه ، ونفذ من أمر الله تعالى ما لم يقدروا على استرجاعِه ،) .

2ـ الجناس :

وهو من الفنون البديعية وقد عرفه عبد الله بن المعتز بقوله : « التجنيس أن تجيء الكلمة تجانس أخرى في بيت شعر وكلام ، ومجانستها لها أن تشبهها في تأليف حروفها [1] »، وهذا يعني أن الجناس هو تشابه اللفظين في النطق وإختلافهما في المعنى ، والجناس ينقسم إلى قسمين تام وغير تام .

ومن أمثلة الجناس في رسالة أبى حفص الهنتاتي :

- الأرب / الكرب [جناس غير تام].
- الأيام / القيام / الصيام [جناس غير تام]
- فتح / تفتح [جناس غير تام]
- أعجب / عجب [جناس غير تام]

لم يكثر الكاتب من توظيف الجناس في رسالته، لكي لا يظهر ضعفه في الأسلوب وعجزه أمام القارئ، وسر جمال الجناس أنه يعطي جرس موسيقي تطرب له الأذان.

3ـ المطابقة :

وهي من المحسنات البديعية المعنوية ، ويطلق عليها أيضا الطباق والتضاد ، ويعرفها الأصمعي « المطابقة أصلها وضع الرجل موضع اليد في مشي ذوات الأربع [2] »، وقال

[1]- المرجع السابق، ص 195 .
[2]- المرجع السابق ، ص 76 .

الخليل بن أحمد :« طابقت بين الشيئين إذا جمعت بينهما على حد واحد [1] » ، والمطابقة أو الطباق في إصطلاح رجال البديع : «هي الجمع بين الضدين أو بين الشيء وضده في كلام أو بيت شعر كالجمع بين اسمين متضادين [2] »

فالمطابقة أو الطباق أن نأتي بكلمة وضدها مثل الليل ضده النهار ، والمطابقة نوعين مطابقة الإيجاب ومطابقة السلب .

ومن أمثلة المطابقة في رسالة أبى حفص الهنتاتي نجد :

بُعْدٍ≠كثب[مطابقةلإيجاب]

- السماء ≠ الأرض [مطابقة الإيجاب]
- يساره ≠ يمينه [مطابقة الإيجاب]
- الفرار ≠ البقاء [مطابقة الإيجاب]
- يفتح ≠ لا يفتح [مطابقة السلب]
- وتكمل وظيفة وسر جمال المطابقة في تأكيد المعنى وتوضيحه ، يبرزه ويقويه .

*وتكمل بلاغة المحسنات البديعية حسب أنواعها، في تأكيد المعنى وتوضيحه وتعطى جرس موسيقي في أذهان السامعين ولكن بشرط ألا يكثر ويصرف الأديب في توظيفها.

[1]- المرجع السابق ، ص77 .
[2]- المرجع السابق ، ص 77 .

الخاتمة

الخاتمة :

- من خلال دراستنا لهذه الرسائل السلطانية تتضح السمات الفنية التي خصت بها من خلال (سهولة الألفاظ . ووضوح الفكرة . اعتمادهم على المحسنات البديعية بكثرة . كثرة الأساليب الخبرية في رسائلهم . قصر الجمل والفقرات . وضوح المعاني . التأثر بالقرآن الكريم فلا تكاد تجد رسالة خالية من الاقتباس من القرآن الكريم) ، فهذه الرسائل تعد لوحات فنية اختلفت فيها جميع ألوان الصور البلاغية ، وبالأخص علم البديع الذي أخذا مكانة في هذه الرسائل ، تمثل في السجع الذي أضفى لمسة فنية وجمالية على هذه الرسائل .

- كما نستنتج أيضا أن الملامح الفنية التي طرأت على هذه الرسائل؛ إعتمادهم التحميدات في معظم رسائلهم وذلك لإظهار الثناء والحمد لله تعالى ، دقة الأفكار وتسلسلها ، حرصهم على الوقوف على مقتطفات إيقاعية في رسائلهم لخلق إيقاع موسيقي يؤثر في نفسية القارئ.

- الميل إلى الإطناب في بعض الرسائل وذلك من خلال بسط المعاني وتفرعها (كثرت الترادف وتكرار المعنى الواحد في عبارات متتالية لتأكيد المعنى وتوضيحه، إضافة إلى براعة تصوير المشاهد في ما يخص الحروب) .

- كما نستنتج أن تجليات السلطة في هذه الرسائل تظهر من خلال تلك الأوامر والتوجيهات، والوصايا والعقوبات ، والقرارات المتخذة في الإصلاحات الخاصة بشؤون الدولة العامة أو الخاصة ، وذلك حسب المضامين التي احتوتها تلك الرسائل ، إضافة إلى قوة تأثير المرسل على المرسل إليه .

- هذه الرسائل باعتبارها جنسا أدبيا، لها مكونات وسمات خاصة تميزها عن غيرها من الأجناس النثرية.

فهي رسائل تختلف عن باقي الرسائل وخاصة تلك الرسائل التي يكون الغرض منها غير الإخبار والتواصل ليس إلا، فنجد أن هذه الرسائل تقل فيها الخصائص الفنية؛ لأن الكلام فيها عادي لا يقصد به التأثير أو الإقناع.

- فهذه الرسائل السلطانية أو الديوانية إن صح القول في كتاب النبوغ المغربي ، اختلفت فيها الخصائص الفنية ، إمتازت بالمرونة الفنية والأسلوبية ، والعناية بالزخارف المعنوية واللفظية ، إضافة إلى أن كتاب هذه الرسائل قد أظهروا براعتهم وإجادتهم في كتابة الرسائل ، حيث كانت هذه الرسائل يكتبها أبلغ كاتب على لسان الخليفة أو الخليفة أو سلطان في حد ذاته وهذا ما يميزها عن غيرها.

- فالآداب السلطانية في جوهرها تقوم على مبدأ النصيحة ، وأن هدفها الأسمى يتمثل في تقوية السلطة ودوام الملك .

- تعد هذه الرسائل موروث تاريخي بالنسبة لبلاد المغرب الشقيق تعبر عن حضارتهم وثقافتهم، فقد حفرت بالذهب أسماء هؤلاء الكتاب والوزراء والملوك.

- تميزت لغة الرسائل التي كتبها هؤلاء الكتاب بالرصانة والوضوح في الوقت ذاته، فقد تجسد ذلك في التناسق في الألفاظ والانسجام في العبارات.

- ساهمت هذه الدراسة في الكشف عن مضامين الرسائل السلطانية؛ التي تكاد تكون مضامينها كالياقوت والمرجان في صدفة المحار.

- كما نستنتج أيضا انه لا نكاد نجد رسالة تخلو من التكرار والترادف والسجع.

- حيث نستنتج من خلال هذه الرسائل أن أصحابها بميلهم إلى توظيف المحسنات البديعية المعنوية واللفظية بكثرة؛ هذا دال على إتباعهم للمدرسة الصنعة اللفظية.

ملحق

رسالة أبى حفص الهنتاتي إلى عبد المؤمن بالفتح

في ثورة ابن هود ، وهي من إنشاء الوزير أبى جعفر بن عطية

كتابُناهذا من وادي مَاسَّة بعد ما تجدَّد من أمر الله الكريم ، ونصره تعالى المعُهود القديم ،(وما النصرُ إلا من عند الله العزيز الحكيم ،) فَتحُ بَهر الأنوار اشراقاً وأحدق بنفوس المؤمنين إحداقاً، ونبَّه للأماني النائِمةِ جُفونا وأحداقا . واستغرقَ غايَة الشكر استغراقا ، فلا تُطيِقُ الالسُن لِكُنْه وصفه إدراكا ولا لحاقا ، جَمع اشتات الطلب والأرب ، وتقلَّب في النعم أكرم مُنقلب ، وملأ دلاء الأمل إلى عَقْدِ الكَرب.

فتحُ تفتَّحُ أبوابُ السماء له وتبرْزُ الارض في اثوابها القُشُب

وتقدمت بشارَتُنا به جملة ، حين لم تعطِ الحال بشرحه مهلة :

كان اولائك الضالُّون قد بطِرُوا عدوانا وظلما ، واقتطعوا الكفر معنى واسما ، وأملى الله تعالى لهم ليزدادُوا إثْماً ، وكان مُقدَّمهم الشقِيُّ قد استمال النفوس بخزعبلاته واستهوى النفوس بمهولَاته ، ونَصَب له الشيطان من حِبالَاته ، فأتته المخاطباتُ من بُعْدٍ ومن كَثَب ، ونسلت إليه الرُسل من كل حدب ، واعتقدته الخواطِرُ اعجبَ عجب . وكان الذي قادهم إلى ذلك ، وأوردهم تلك المهالك ، وصولُ من كان بتلك السواحل ممن ارتسم برسم الانقطاع عن الناس فيما سلف من الأعوام ، واشتغل على زعمه بالقيام والصيام آناء الليل والأيام ، لبسوا الناموس أثوابا، وتدرَّعوا الرياءَ جلبابا ، فلم يفتح الله تعالى للتوفيق بابا .

ومنها في ذكر الثائر المذكور

فصُرِعَ بحمد الله تعالى لحينه ، وبادرتْ إليه بوادِرُ مَنُونِه ، وأتتْه وافِداتُ الخطابا عن يساره ويمينه ، وقد كان يذَّعي أنه بشِّر بأن المنية في هذه الأعوام لا تُصيبه والنوائب لا تنوبه ،

ويقول في سواه قولاً كثيرا ويختَلِقُ على الله إفكا وزورا ، فلما رأوْا هيئة اضطجاعِه ، وما خطَّته الأسِنةُ في أعضائه وأضلاعِه ، ونفذ فيه من أمر الله نعالى مالم يقدِروُا على استرجاعه ، هُزم من كان لهم من الأحزاب ، وتساقطوا على وجوههم تساقط الذُّباب ، واعطوا على بكرة أبيهم صفحات الرقاب ، ولم تقْطر كلومُهم الاَّ على الأعقاب فامتلأت تلك الجهات باجسادِهم ، وآذنت الآجالُ بانقراض آمادهم ، واخذهم الله تعالى بكفرهم وفسادهم ، فلم يُعايَن منهم إلاَّ من خرَّ صريعاً وسقى الأرض نجيعا ولَقِيَ من أمر الهِنديات فظيعا ، ودعت الضرورة باقِيهم إلى الترامي في الوادي . فمن كان يؤملُ الفرار ويرتَجِيه ، ويسبحُ طامعا في الخروج إلى مايُنجِّيه اختطفته الأسِنَّةُ اختطافا ، واذاقته موت زثعافاً ، ومن لجَّ في الترامي على لَجِجه ، ورام البقاء في ثَبجه ، قضى عليه شرَقُه ، وألوى بذقنِه غرقُه ، ودخل الموحدون إلى البقية الكائنة فيه يتناولون قتلهم طعناً وضربْا ، ويلقُّون بامر الله تعالى هوْلاً عظيماً وكربا ، حتى انبسطت مُراقاتُ الدِّماء ، على صفحات الماء ، وحكت حمرتُها على زرقته حُمرةَ الشفق على زُرْقةِ السماء ، وجرت العِبرةُ للمعتبر ، في جري ذلك الدم جَرْي الأبحُر .

قائمة

المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع :

المصادر:

*عبد الله كنون . النبوغ المغربي في الأدب العربي ، ج3.1.

المراجع :

1. أحمد السايب – الأسلوبية دراسة بلاغية تحليلية للأصول الأساليب الأدبية – مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ط2 ، 1411هـ .1991م.
2. أحمد مختار العبادى – دراسات في تاريخ المغرب والأندلس– مؤسسة شباب الجامعة – إسكندرية .
3. إبراهيم خليل – أمتنان الصمادي – فن كتابة التعبير – دار الميسر للنشر والتوزيع والطباعة ، عمان – الأردن ، ط2 ، 2009م . 1430هـ .
4. إبراهيم القادري بوتشيش –المغرب والأندلس في عصر المرابطين . المجتمع– الذهنيات – الأولياء –دار الطليعة للطباعة والنشر – بيروت .
5. بشار عواد معروف وعصام فارس الحرستاني – تفسير الطبري من كتابه البيان عن تأويل أي القرآن م1 – الفاتحة . البقرة – مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ط1 ، 1415هـ . 1994م .
6. حامد محمد الخليفة – انتصارات يوسف بن تاشفين – مكتبة الصحابة ، الإمارات . الشارقة ، مكتبة التابعين ، القاهرة . عين شمس ، ط1 ، 1425هـ .2004م .
7. حامد محمد الخليفة – يوسف بن تاشفين موحد المغرب وقائد المرابطين ومنقد الأندلس من الصليبيين – دار القلم ، دمشق ، ط1 ، 1425هـ . 2003م .
8. حسن علي حسن – الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس عصر المرابطين والموحدين –الناشر مكتبة الخنائجي بمصر ، ط1، 1980.

9. عبد الرحمان بن ناصر السعدي _ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان _ مكتبة العبيكات ، الرياض ، العليا ، ط1، 1422هـ -2001م .
10. عبد الرحمان بن ناصر السعدي _ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان _دار السلام للنشر والتوزيع ، المملكة السعودية ، ط2، 1422هـ _2002م .
11. عبد العزيز عتيق – علم البديع – دار النهضة العربية ، د ط ، بيروت . لبنان .
12. عبد العزيز عتيق – علم البيان – دار النهضة العربية لطباعة والنشر – بيروت ، د ط ، 1405هـ . 1985.
13. فايز عبد النبي فلاح الفيسي – أدب الرسائل في الأندلس في القرن الخامس الهجري – دار البشير لنشر والطباعة ، ط1، 1409هـ 1989م .
14. محمد المنوني – العلوم والأدب والفنون على عهد الموحدين ، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر ، الرباط، ط2 ، 1397هـ . 1977م .
15. محمد بن تاوبت – الوافي بالأدب العربي في المغرب الأقصى ، ج1، دار الثقافة – الدار البيضاء ، ط1 ، 1402هـ . 1982م .
16. محمد بن صالح العثيمين – تفسير القرآن الكريم (الحجرات ، ق ، الذاريات ، الطور ،النجم ، القمر، الرحمن ، الواقعة ، الحديد) – طبع وإشراف مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية ، دار الثريا للنشر والتوزيع ، المملكة العربية السعودية ، عنيز ، سلسلة مؤلفات فضيلة الشيخ 1 ، ط1 ، 1425هـ . 2004م .
17. محمد بن صالح العثيمين – تفسير القرآن الكريم سورة الروم – من إصدارات مؤسسة محمد بن صالح العثينين الخيرية ، المملكة العربية السعودية سلسلة مؤلفات فضيلة الشيخ 131 ، ط1 ، 1436هـ.
18. محمد بن صالح العثيمين – تفسير القرآن الكريم سورة النمل – مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية ، المملكة العربية السعودية . القصيم . عنيز ، ط1 ،

1436هـ .

19. محمد خير الشيخ موسى – النثر الفني في النقد العربي (فن الكتابة)، مكتبة بن كثير . الكويت ، ط1 ، 1997م.
20. محمد عبيد حجاب – بلاغة الكتاب في العصر العباسي دراسة تحليلية نقدية لتطور الأساليب – مكتبة الجامعي 31 ، ط2 ، 1406هـ . 1982م.
21. ناظم رشيد – الأدب العربي في العصر العباسي – دار الكتاب للطباعة والنشر جامعة الموصل ، د ط ، 1410هـ ـ 1989م.

المعاجم:

22- ابن منظور الأنصاري ـ لسان العرب م11 ـ منشورات محمد على بيصون دار الكتاب العلمية ـ بيروت ـ عمان .

فهرس الموضوعات

الفهرس

المقدمة: .....ب

مدخل:..... 6

1. الرسالة :..... 7

2. أقسام الرسالة :..... 8

أ-الكتابة الديوانية (الرسائل الديوانية) : 8

ب . الكتابة الإخوانية (الرسائل الإخوانية) : 8

3- التوقيعات : 9

المبحث الأول : نبذة عن عهد المرابطين و الموحدين 12

1-الدولة المرابطية من ذروة المجد إلى مرحلة التراجع والأفول 12

*المذهب الملكي في دولة المرابطين 13

2- الدولة الموحدية 14

*المذهب الملكي في الدولة الموحدية 15

المبحث الثاني : أنواع الرسائل السلطانية 17

أ- الرسائل الديوانية 18-17

ب- رسائل التوقيعات.....19-18

المبحث الثالث : مضامين الرسائل السلطانية في كتاب النبوغ المغربي.....20

*مضامين الرسائل 46-20

الفصل الثاني: الخصائص الفنية للرسائل السلطانية دراسة تطبيقية رسالة أبى حفص الهنتاتي عينة 47

المبحث الأول :الأسلوب والبناء في رسالة أبى حفص الهنتاتي إلى عبد المؤمن بالفتح.....48

1- الحقل الديني 49
2- الإقتباس والتضمين 49
3- التكرار.....50

المبحث الثاني : الصور البيانية في رسالة أبى حفص الهنتاتي 52

1- الإستعارة 52
2- التشبيه.....53
3- الكناية 54
4- النظام التصويري.....55

المبحث الثالث :المحسنات البديعية في رسالة أبى حفص الهنتاتي.....57

1- السجع.....57
2- الجناس 58
3- المطابقة 58

الخاتمة :.....60

ملحق.....63

قائمة المصادر والمراجع 66

فهرس الموضوعات.....70